جامع الرحمانية

كتاب الفتن من
سنن ابن ماجه

تعليق فضيلة الشيخ

عبدالله بن صالح العبيلان حفظه الله

إعداد

اللجنة العلمية في جامع الرحمانية

مقدمة الشارح

إن الحمد لله نحمده ونستعيه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا محمدا عبده ورسوله اللهم صل وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد ...

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي نبينا محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة .

يسرني في هذا المساء المبارك يوم الجمعة عصر الجمعة أن ألتقي بكم وأتذاكر أنا وإياكم حديث نبينا محمد ﷺ في أمر عظيم جاء ذكره في الكتاب والسنة وبوب له عامة أهل العلم أبوابا سموها أبواب الفتن .

والفتن أمر لازم لابد منه للعبد، لكن فرق بين ما يبتلى به الإنسان فيكون من جنس قول الله تعالى: ﴿ **الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢** ﴾[1] وبين دخول الإنسان في الفتنة كما في قول الله تعالى ﴿ **وَلَٰكِنَّكُمۡ فَتَنتُمۡ أَنفُسَكُمۡ** ﴾[2] .

والفتنة تكون في أمر الدين وفي أمر الدنيا .

فإن كانت في **أمر الدين** فإن الغالب أن الذين يدخلون فيها هم المنتسبون للعلم والعبادة، ومعظم ما ذكره المؤلف هنا هو متعلق بهذا، لأن الفتنة بهذا النوع أعظم وأشد ولهذا تواترت الأحاديث عن النبي ﷺ في الخوراج لأن فتنتهم كانت ولا زالت فتنة عظيمة .

وفتنة في **الدنيا** كفتنة المال وفتنة النساء وهي نوع انحراف لمن وقع فيها .

والفتنة لها معانٍ كثيرة لكن جملة ما يمكن أن يقال في **معنى الفتنة** أنه كل ما صرفك عن دينك وأشغلك وألهاك عنه وأدخلك فيما يضاده ، وإلا فالفتنة تطلق ويراد بها الصد عن سبيل الله كقوله تعالى: ﴿ **وَإِن**

---

(١) سورة العنكبوت آية ١و٢

(٢) سورة الحديد آية ١٤

كَادُواْ لَيَفۡتِنُونَكَ ...﴾ [1] أي يصدونك، ويراد منها الابتلاء والاختبار وهذا كثير في القرآن الكريم، ويراد منها العذاب كقوله تعالى: **﴿ ذُوقُواْ فِتۡنَتَكُمۡ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ ﴾**[2] ولها معان أخرى لعلها تظهر فيما نقرأه من الأحاديث التي سنعلق عليها إن شاء الله وبعضها تحتاج إلى إملاء يسير وهي عبارة عن نكات.

فائدة:

تراجم ابن ماجه وتبويبه لأبواب الفتن هي من أكمل وأفضل الكتب الستة وسبق أن قرأنا أبواب الفتن من الكتب الستة فوجدت أنها أدقها فهما لمقاصد الشريعة في هذا الباب مع كامل التقدير للأئمة غيره.

---

(١) سورة الإسراء آية ٧٣

(٢) سورة الذاريات آية ١٤

١ - بَابُ الْكَفِّ عَمَّنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

٣٩٢٧ - حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ وَحَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِذَا قَالُوهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ".

٣٩٢٨ - حَدَّثَنَا سُوَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي سُفْيَانَ عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِذَا قَالُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ عز وجل".

هنا تبويبه جميل ويدل على فقه لإنه أراد بهذه الترجمة الإشارة إلى أن الفتنة فتنتان :

فتنة يراد زوالها وهي الشرك كما قال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ ... ﴾[١] والشرك هو قتال المسلمين لغيرهم من الملل الأخرى فقوله ﷺ " أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ " ويعني النبي ﷺ بالناس : الكفار ، فاستنبط من هذا الحديث أن القتال داخل المجتمع المسلم هو الفتنة ، أي أن القتال نوعان :

النوع الأول : قتال للكفار : كما قال تعالى ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ ... ﴾ وهذا الحديث يفسر الآية .

النوع الثاني : قتال داخل المجتمع المسلم وهذا هو الفتنة بعينها .

فأراد رحمه الله التفصيل بين أنواع الفتن .

(١) سورة البقرة آية ١٩٣

٣٩٢٩ – حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بَكْرٍ السَّهْمِيُّ، حَدَّثَنَا حَاتِمُ بْنُ أَبِي صَغِيرَةَ، عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ سَالِمٍ، أَنَّ عَمْرَو بْنَ أَوْسٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَاهُ أَوْسًا أَخْبَرَهُ قَالَ: إِنَّا لَقُعُودٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ يَقُصُّ عَلَيْنَا وَيُذَكِّرُنَا، إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ فَسَارَّهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "اذْهَبُوا بِهِ فَاقْتُلُوهُ." فَلَمَّا وَلَّى الرَّجُلُ، دَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: "هَلْ تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟" قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: "اذْهَبُوا فَخَلُّوا سَبِيلَهُ، فَإِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ، حَرُمَ عَلَيَّ دِمَاؤُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ".

هذا الحديث فيه التفصيل في أحوال الكفار فإن كان القتال قائما بين جيش المسلمين وجيش الكفار فإن الكافر يقتل ،كما قال تعالى: ﴿ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ﴾ [1] وإن كان الأمر ليس كذلك وإنما قُدِر على أحدهم كأن يكون أحدهم قد أُسِر أو غير ذلك من الأسباب فإن هذا يُخيِّر ويستتاب فإن تاب فالحمد لله وإن لم يتب فالإمام مخير في أمره إن شاء قتله وإن شاء أسره وإن شاء فادى به وغير ذلك من الأمور التي هي تحت صلاحية إمام المسلمين

الشاهد من ذلك هو قول النبي ﷺ " هَلْ تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟" قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: "اذْهَبُوا فَخَلُّوا سَبِيلَهُ،" فهذه استتابة .

وهذا يدل على أن الغاية من قتال الكفار هو التوحيد ، وليسس الغاية من قتال الكفار أخذ أموالهم وأراضيهم أو سبي نسائهم فإن هذه أمور تابعة ، وإلا فالأصل في قتال الكفار هو التوحيد ، فمتى أعلنوا التوحيد ولو باللسان ، ولو قالوا لا إله إلا الله وهم يضمرون غير التوحيد في قلوبهم فالواجب حينئذ الكف عنهم ويأتي مزيد بيان إن شاء الله.

---

(١) سورة التوبة آية ١١١

٣٩٣٠ – حَدَّثَنَا سُوَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ السُّمَيْطِ بْنِ السَّمِيرِ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ الْحُصَيْنِ، قَالَ: أَتَى نَافِعُ بْنُ الْأَزْرَقِ وَأَصْحَابُهُ، فَقَالُوا: هَلَكْتَ يَا عِمْرَانُ، قَالَ: مَا هَلَكْتُ. قَالُوا: بَلَى. قَالَ: مَا الَّذِي أَهْلَكَنِي؟ قَالُوا: قَالَ اللَّهُ عز وجل: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ ﴾ [الأنفال: ٣٩] قَالَ: قَدْ قَاتَلْنَاهُمْ حَتَّى نَفَيْنَاهُمْ، فَكَانَ الدِّينُ كُلُّه لِلَّه، وإِنْ شِئْتُمْ حَدَّثْتُكُمْ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالُوا: وَأَنْتَ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟ قَالَ: نَعَمْ، شَهِدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وبَعَثَ جَيْشًا مِنْ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ، فَلَمَّا لَقُوهُمْ قَاتَلُوهُمْ قِتَالًا شَدِيدًا، فَمَنَحُوهُمْ أَكْتَافَهُمْ، فَحَمَلَ رَجُلٌ مِنْ لُحْمَتِي عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بِالرُّمْحِ، فَلَمَّا غَشِيَهُ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، إِنِّي مُسْلِمٌ، فطَعَنَهُ فَقَتَلَهُ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلَكْتُ. قَالَ: "وَمَا الَّذِي صَنَعْتَ؟ " مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ، فَأَخْبَرَهُ بِالَّذِي صَنَعَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" فَهَلَّا شَقَقْتَ عَنْ بَطْنِهِ فَعَلِمْتَ مَا فِي قَلْبِهِ؟" قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ شَقَقْتُ بَطْنَهُ أَكُنْتُ أَعْلَمُ مَا فِي قَلْبِهِ؟ قَالَ: "فَلَا أَنْتَ قَبِلْتَ مَا تَكَلَّمَ بِهِ، وَلَا أَنْتَ تَعْلَمُ مَا فِي قَلْبِهِ". قَالَ: فَسَكَتَ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى مَاتَ، فَدَفَنَّاهُ، فَأَصْبَحَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ، فَقَالُوا: لَعَلَّ عَدُوًّا نَبَشَهُ، فَدَفَنَّاهُ، ثُمَّ أَمَرْنَا غِلْمَانَنَا يَحْرُسُونَهُ، فَأَصْبَحَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ، فَقُلْنَا: لَعَلَّ الْغِلْمَانَ نَعَسُوا، فَدَفَنَّاهُ ثُمَّ حَرَسْنَاهُ بِأَنْفُسِنَا، فَأَصْبَحَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ، فَأَلْقَيْنَاهُ فِي بَعْضِ تِلْكَ الشِّعَابِ.

هذا الحديث غير حديث أسامة ، فحديث أسامة قصة أخرى، وهذه القصة يشهد لها حديث جندب البجلي رواه الطبراني بإسناد حسن وهي قريبة من هذه القصة ، وبهذا فسر الحديث الحسن وقتادة ، فلهذه القصة أصل ، وكونهم دفنوه ثم نبذته الأرض وألقته فإن مثل هذا لا يستغرب.

وفي حديث جندب بن عبد الله البجلي قال : استغفر لي يا رسول الله قال : لا أستغفر لك قال : استغفر لي يا رسول الله قال : لا أستغفر لك .

ويؤخذ من هذا الحديث فوائد :

الفائدة الأولى: أنه تفسير لقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴿٩٤﴾ ﴾[1] وقوله: "**أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ**" أي : أظهر الإسلام.

الفائدة الثانية: التأني في الأمور وعدم العجلة والخفة الطيش فإن بث الثقة والأمان بين المسلمين من مقاصد الشريعة ، وإدخال الشك يفتح بابا يعسر سده ، فيكون سببا في تفكك المجتمع .

الفائدة الثالثة: أن الأصل أن يؤخذ الناس ويحكم عليهم بالظواهر، والسرائر يتولاها الله .

الفائدة الرابعة: النهي عن قتل من أظهر الإسلام ولو كان قصد القاتل الحرص على تحقق وصف الإيمان، فإن هذا التحقق غير مراد للشريعة في المقتول ، والمعتبر فيها في الأحكام الظاهرة هو صفة الإسلام .

الفائدة الخامسة: فيه التنبيه على أن الإنسان لا يغفل عند مؤاخذته غيره أحوالا كان هو عليها قال تعالى:

﴿ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ ﴾

الفائدة السادسة: لوم الله لبعض المجاهدين على تعمقهم بالغاية من الجهاد .

---

(١) سورة النساء آية ٩٤

٣٩٣٠م –حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ حَفْصٍ الْأَبلِيُّ، حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ السُّمَيْطِ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ الْحُصَيْنِ، قَالَ: بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِﷺ فِي سَرِيَّةٍ، فَحَمَلَ رَجُلٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ عَلَى رَجُلٍ مِنْ الْمُشْرِكِينَ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ، وَزَادَ فِيهِ: فَنَبَذَتْهُ الْأَرْضُ، فَأُخْبِرَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَالَ: "إِنَّ الْأَرْضَ لَتَقْبَلُ مَنْ هُوَ شَرٌّ مِنْهُ، وَلَكِنَّ اللَّهَ أَحَبَّ أَنْ يُرِيَكُمْ تَعْظِيمَ حُرْمَةِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ".

وهذا طريق آخر غير الطريق السابق وله طريق آخر في مسند أحمد أيضا هو يدل على عظم هذا الأمر وهو قتل المسلم الذي يشهد أن لا إله إلا الله .

٢ – بَابُ حُرْمَةِ دَمِ الْمُؤْمِنِ وَمَالِهِ

٣٩٣١ – حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ، حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ يُونُسَ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِﷺ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ: "أَلَا إِنَّ أَحْرَمَ الْأَيَّامِ يَوْمُكُمْ هَذَا، ألا وإن أحرم الشهور شهركم هذا، ألا وإن أحرم البلد بلدكم هذا، أَلَا وَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟ " قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: "اللَّهُمَّ اشْهَدْ".

في مثل هذا المجمع العظيم الذي لم يحصل قبله ولا بعده مثله في الحج واجتماع المسلمين وإتيانهم من كل حدب وصوب يبين النبي ﷺ فيه أمرا يريد منهم أن يبلغوه ويحفظوه وكأنه يقول : إن إيمانكم مربوط بحفاظكم على دمائكم وأموالكم.

ويبين أمرا آخر وهو أن الإصلاح داخل المجتمع المسلم لا يكون بالسلاح مهما بلغ الفساد في المجتمع المسلم، فإن هذا يزيد الأمر سوءا.

وقوله : " أَلَا إِنَّ أَحْرَمَ الْأَيَّامِ يَوْمُكُمْ هَذَا، ألا وإن أحرم الشهور شهركم هذا، ألا وإن أحرم البلد بلدكم هذا" هذه حرمات عظام، وقد حرمها الله تحريما أبديا وهي حرمة الشهر الحرام والمسجد الحرام وحرمة المؤمن .

٣٩٣٢ – حَدَّثَنَا أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ أَبِي ضَمْرَةَ نَصْرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ الْحِمْصِيُّ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي قَيْسٍ النَّصْرِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِﷺ يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ، وَيَقُولُ: "مَا أَطْيَبَكِ وَأَطْيَبَ رِيحَكِ، مَا أَعْظَمَكِ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكِ! وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَحُرْمَةُ الْمُؤْمِنِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ حُرْمَةً مِنْكِ، مَالِهِ وَدَمِهِ، وَأَنْ نَظُنَّ بِهِ إِلَّا خَيْرًا".

هذا الحديث في إسناده ضعف لكن معناه مقبول عند أهل العلم وقد جاء عن ابن عمر: أن تهدم الكعبة حجرا حجرا أهون عند الله من قتل مؤمن .

وقوله ""مَا أَطْيَبَكِ وَأَطْيَبَ رِيحَكِ، مَا أَعْظَمَكِ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكِ!"

هذا شيء متقرر عند الناس حتى قبل الإسلام ، وإنما مهد النبي ﷺ بهذا ليبين حرمة دم المسلم وأنها أعظم عند الله من هدم الكعبة ، **وربما** يشير إلى هذا قوله تعالى ﴿ **۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ** ﴾ [1] ثم بين سبحانه وتعالى أن الذي يعمر مساجد الله هم المؤمنون فقال: ﴿ **إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ** ﴾ [2]

وهنا تنبيه في الكلام على قتل المؤمن عمداً، لكن أحيانا قد لا يريد المؤمن قتل المؤمن عمدا وربما يؤاخذ، والدليل على هذا قول الله تعالى : ﴿ **وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ** ﴾ [3] ومعرة : أي إثم.

فكان من مقاصد صلح الحديبية وعدم قتال مشركي قريش هو وجود مؤمنين بينهم يُخفون إيمانهم، فلو قاتلهم المؤمنون لخفي عليهم أولئك وربما قاموا بقتلهم ، مع أن عددهم لا يزيد على الاثني عشر ما بين رجل وامرأة كما جاء في التفسير، ومع ذلك فإن الله عز وجل نهى المؤمنين عن القتال حتى لا يقتلوا هؤلاء المؤمنين.

والشاهد هو قوله: "**فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ**" فهذا كله يدل على عِظم حرمة المؤمن .

---

(١) سورة التوبة آية ١٨

(٢) سورة التوبة آية ١٧

(٣) سورة الفتح آية ٢٥

٣٩٣٣ – حَدَّثَنَا بَكْرُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نَافِعٍ، وَيُونُسُ بْنُ يَحْيَى، جَمِيعًا عَنْ دَاوُدَ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرِ بْنِ كُرَيْزٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ".

قوله " كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ " يذكرنا بقول الله تعالى ﴿ **وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَ** ﴾ [١]

ولاحظ هذه المحرمات وكيف جاء ترتيبها فأولها الشرك ثم القتل ثم الزنا .

٣٩٣٤ – حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ السَّرْحِ الْمِصْرِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ، عَنْ أَبِي هَانِئٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مَالِكٍ الْجَنْبِيِّ أَنَّ فَضَالَةَ بْنَ عُبَيْدٍ حَدَّثَهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "الْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ الْخَطَايَا وَالذُّنُوبَ".

فيه التنبيه إلى التلازم بين الإيمان والأمن بحيث لا وجود للإيمان بدون الأمن ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث" والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن. قالوا : يا رسول الله وما ذلك؟ قال : جار لا يأمن جاره بوائقه " ففيه تلازم بين الإيمان والأمن .

ولهذا جعل الله سبحانه وتعالى المخل بالأمن محارب لله ورسوله فقال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ ....** ﴾ [٢]

و يتبين وجه أن الإخلال بالأمن فيه محاربة لله ورسوله من عدة أمور:

الأول: أن الدين وأعظمها التوحيد لا يقوم إلا بالأمن ولهذا قال إبراهيم عليه السلام ﴿ **رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ٣٥** ﴾ [٣] فبدأ بالأمن قبل التوحيد.

---

(١) سورة الفرقان آية ٦٨

(٢) سورة المائدة آية ٣٣

(٣) سورة إبراهيم آية ٣٥

الثاني: أن العبادة لا تقوم إلا بالأمن، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : ﴿ **فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلۡعُمۡرَةِ إِلَى ٱلۡحَجِّ ...** ﴾[1] ولهذا قال الفقهاء أن من شروط الحج أمن الطريق فإذا لم يوجد الأمن تتعطل شعيرة الحج.

الثالث: أن الدماء والأموال والأعراض لا تحفظ إلا بوجود الأمن.

الرابع: أن مصالح العباد كالزراعة والصناعة والشراء والبيع وغيرها لا يمكن أن تتم لهم إلا بالأمن.

ومن هنا يتبين وجه قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ...** ﴾

وهنا **ملحظ مهم** وهو أنه لم يذكر في الآية شيء يتعلق الاعتقاد وإنما كلها أعمال فيها إخلال بالأمن.

وبالحديث الآتي يتبين لنا لماذا خصص النهي عن النهبة بالتبويب.

(١) سورة البقرة آية ١٩٦

٣ – بَابُ النَّهْيِ عَنْ النُّهْبَةِ[١]

٣٩٣٥ – حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "مَنْ انْتَهَبَ نُهْبَةً مَشْهُورَةً، فَلَيْسَ مِنَّا".

٣٩٣٦ – حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ حَمَّادٍ، أَخبرنَا اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ عُقَيْلٍ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا، وَهُوَ مُؤْمِنٌ".

٣٩٣٧ – حَدَّثَنَا حُمَيْدُ بْنُ مَسْعَدَةَ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، حَدَّثَنَا حُمَيْدٌ، حَدَّثَنَا الْحَسَنُ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ الْحُصَيْنِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "مَنْ انْتَهَبَ نُهْبَةً، فَلَيْسَ مِنَّا" .

٣٩٣٨ – حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو الْأَحْوَصِ، عَنْ سِمَاكٍ عَنْ ثَعْلَبَةَ بْنِ الْحَكَمِ، قَالَ: أَصَبْنَا غَنَمًا لِلْعَدُوِّ، فَانْتَهَبْنَاهَا، فَنَصَبْنَا قُدُورَنَا، فَمَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِالْقُدُورِ، فَأَمَرَ بِهَا فَأُكْفِئَتْ، ثُمَّ قَالَ: "إِنَّ النُّهْبَةَ لَا تَحِلُّ".

وهنا سؤال مهم وهو : لماذا خصص النهبة بعد ذكر باب الأمن ؟

فالجواب : لأن فيها إرجافا وقطعا للسبيل وإخلالا بالأمن ، ولهذا كرر النبي ﷺ في هذه الأحاديث قوله: " لَيْسَ مِنَّا ".

(١) قال الشيخ : النهبة غير السرقة وهي كمن يأخذ مالك أمام عينيك .

٤ – بَابٌ: سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وقِتَالُهُ كُفْرٌ

٣٩٣٩ – حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ، حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ يُونُسَ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ شَقِيقٍ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ".

٣٩٤٠ – حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْأَسَدِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو هِلَالٍ، عَنْ ابْنِ سِيرِينَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ".

٣٩٤١ – حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ شَرِيكٍ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ سَعْدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ".

ترتيب هذه الأحاديث يذكرنا بقول الله تعالى كما جاء في سورة الحجرات ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ ﴾ [١]

ويلاحظ أن الله جل وعلا ذكر بعدها ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا ﴾ [٢] ثم ذكر ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِ ﴾ [٣] فهذه الأحاديث مأخوذة من الآية .

قوله " وَقِتَالُهُ كُفْرٌ " فيه تفصيل :

فقتل المؤمن إن كان استحلالا لدمه كما يفعله بعض الخوارج فهذا كفر مخرج من الملة وأما إن كان لأمر آخر جرى بينهما كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْ ﴾ فهذا

---

(١) سورة الحجرات آية ٧

(٢) سورة الحجرات آية ٩

(٣) سورة الحجرات آية ١١

ليس بكفر بدليل أن الله جل وعلا جعل وصف الإيمان ثابتا لهم ، ولأن الملة واحدة والعقيدة واحدة وإنما الخلاف على أمر من أمور الدنيا فاقتتلوا عليه فهذا لا يخرجهم من الإيمان ، لكن يخرجهم من الإيمان إذا اختلفت العقيدة ، كأن يقاتل غيره مكفرا له ومستحلا لدمه وماله وعرضه فحينئذ يكون كافرا كما سيأتي في الحديث الآتي .

٥ – بَاب لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ

٣٩٤٢ – حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، قَالَا: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُدْرِكٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا زُرْعَةَ بْنَ عَمْرِو بْنِ جَرِيرٍ يُحَدِّثُ عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ: "اسْتَنْصِتِ النَّاسَ" فَقَالَ: "لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ".

كلمة "كُفَّارًا" محمولة عند أهل العلم على أمور :

– أن اجتماع المسلمين نعمة من الله وهي من أعظم النعم حتى قال الله تعالى: ﴿ **وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءً فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنًا** ﴾ [1]

فهذه نعمة عظيمة ولو أنفق النبي ﷺ جبال الدنيا ذهبا لا يمكن أن يحصل عليها لولا أن الله وهبه إياها ولهذا قال تعالى في آية الأنفال ﴿ **لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ** ﴾ [2]

إذاً الإخلال بهذه النعمة العظيمة عن طريق الاقتتال بين المسلمين لا ريب أنه كفر بالنعمة وهذا هو المعنى الأول.

وهناك معنى آخر في قوله " لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا " أي : لا تعملوا أعمال الكفار لأن أعمال الكفار ليست من أعمال المسلمين .

من جهة أخرى لاحظ في قوله تعالى: ﴿ **وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءً فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنًا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٌ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ**

---

(١) سورة آل عمران آية ١٠٣

(٢) سورة الأنفال آية ٦٣

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤﴾[1] ثم قال بعد ذلك ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ﴾[2] أي : أن أمركم بالمعروف ونهيكم عن المنكر لا يخرجكم إلى حد الافتراق والقتال ، فإن هذا منهي عنه ثم بعد ذلك قال ﴿يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞ﴾[3] **قال ابن عباس** : "تبيض وجوه أهل السنة وتسود وجوه أهل البدعة"، ولا ريب أن أعظم أهل البدع في الإسلام هم الخوارج فالآية فيها الإشارة إليهم .

إذاً قوله "لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ" فيه التنبيه على حرمة دماء المسلمين وأن من قتل أحدا من المسلمين فإنه كافر ولا يخلو أن يكون كفره يخرجه من ملة الإسلام أو يكون كافرا بنعمة الله التي أنعم الله بها عليه والكفر بنعمة الله ليس أمرا هينا ولا تنسوا قول أولئك القوم الذين قالوا ﴿رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا﴾[4] فمزقهم الله كل ممزق ، فقد لا يخلد صاحبه في النار لكنه ذنب عظيم .

٣٩٤٣ – حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، أَخْبَرَنِي عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "وَيْحَكُمْ – أَوْ وَيْلَكُمْ – لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ".

٣٩٤٤ – حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، وَمُحَمَّدُ بْنُ بِشْرٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، عَنْ قَيْسٍ عَنْ الصُّنَابِحِ الْأَحْمَسِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "أَلَا إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، وَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمْ الْأُمَمَ، فَلَا تَقْتَتِلُنَّ بَعْدِي".

قوله "إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، وَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمْ الْأُمَمَ،"كل هذه مرغبات في الاجتماع أي: اجتمعوا ولا تتفرقوا، فإن تفرقكم قد يحرمكم من أن تردوا علي الحوض، ولهذا قال بعدها: " فَلَا تَقْتَتِلُنَّ بَعْدِي ".

---

(١) سورة آل عمران آية ١٠٣-١٠٤

(٢) سورة آل عمران آية ١٠٥

(٣) سورة آل عمران آية ١٠٦

(٤) سورة سبأ آية ١٩

٦ – بَابٌ: الْمُسْلِمُونَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

٣٩٤٥ – حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ بْنِ سَعِيدِ بْنِ كَثِيرِ بْنِ دِينَارٍ الْحِمْصِيُّ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ خَالِدٍ الْوَهْبِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ الْمَاجِشُونُ، عَنْ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ أَبِي عَوْنٍ، عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ حَابِسٍ الْيَمَانِيِّ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ، فَلَا تُخْفِرُوا اللَّهَ فِي عَهْدِهِ، فَمَنْ قَتَلَهُ طَلَبَهُ اللَّهُ حَتَّى يَكُبَّهُ فِي النَّارِ عَلَى وَجْهِهِ".

٣٩٤٦ – حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا رَوْحُ بْنُ عُبَادَةَ، حَدَّثَنَا أَشْعَثُ، عَنْ الْحَسَنِ عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ".

في ذمة الله أي : في عهده وكأنه بذلك يشير إلى قوله تعالى عن غير المسلمين : ﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ (١)

فالأول قال لا إله إلا الله والثاني أعلى منه درجة قد صلى الصبح.

ولا شك أن أعظم من ابتلي بهذا هم الخوارج، فالخوارج لا يرغبون في مؤمن إلا ولا ذمة، أي: فلا قرابة يعتبرونها ولا ذمة الله يرعونها.

أما المؤمنون فقد وصفهم الله بقوله ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ (٢)

٣٩٤٧ – حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو الْمُهَزِّمِ يَزِيدُ بْنُ سُفْيَانَ، قال: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "الْمُؤْمِنُ أَكْرَمُ عَلَى اللَّهِ ﷻ مِنْ بَعْضِ مَلَائِكَتِهِ".

الحديث فيه ضعف لكن المؤلف قصد من إيراده تعظيم حرمة المؤمن .

---

(١) سورة التوبة آية ١٠

(٢) سورة المعارج آية ٣٢

٧ – بَابُ الْعَصَبِيَّةِ

٣٩٤٨ – حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ هِلَالٍ الصَّوَّافُ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا أَيُّوبُ، عَنْ غَيْلَانَ بْنِ جَرِيرٍ، عَنْ زِيَادِ بْنِ رِيَاحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عُمِّيَّةٍ، يَدْعُو إِلَى عَصَبِيَّةٍ، أَوْ يَغْضَبُ لِعَصَبِيَّةٍ، فَقِتْلَتُهُ جَاهِلِيَّةٌ".

هذا الباب فيه وقفات :

– أراد المؤلف من هذه الترجمة الإشارة إلى أن العصبية مما يضاد الإيمان ، والأصل فيها قوله تعالى: ﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ﴾ [١]

ومعنى العصبية : جماعة مجتمعين على أمر مجهول لا يستند إلى الدليل من الكتاب والسنة .

وقوله: "عُمِّيَّةٍ": فيه إشارة إلى قوله تعالى ﴿ ۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ ﴾ [٢]

وقوله: ﴿ وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ [٣]

فالفتنة يعمى المرء فيها عن إبصار الحق وسماعه ، ولهذا يقال فتنة صماء وفتنة عمياء ، ويأتي أيضا حديث "فتن كقطع الليل .."

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات، مات ميتة جاهلية، ومن قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبة، أو يدعو إلى عصبة، أو ينصر عصبة، فقتل، فقتلة جاهلية" وفي لفظ "ليس من أمتي من خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها ولا يتحاشى مؤمنها ولا يوفي لذي عهدها فليس مني ولست منه"

فهذه الأنواع الثلاثة قال عنها النبي مات ميتة جاهلية .

---

(١) سورة الفتح آية ٢٦

(٢) سورة الرعد ١٩

(٣) سورة المائدة آية ٧١

قال شيخ الإسلام : "فالأول هو الذي يخرج عن ولي الأمر ويفارق لجماعة[1] .

الثاني : هو الذي يقاتل لأجل العصبية والرياسة لا في سبيل الله كأهل الأهواء مثل قيس ويمن .

والثالث : مثل الذي يقطع الطريق فيقتل من لقيه من مسلم وذمي ليأخذ ماله وكالحرورية المارقين الذين قاتلهم علي رضي الله عنهم."

ثم ساق الأحاديث فيهم .

٣٩٤٩ - حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا زِيَادُ بْنُ الرَّبِيعِ الْيُحْمِدِيُّ، عَنْ عَبَّادِ بْنِ كَثِيرٍ الشَّامِيِّ، عَنْ امْرَأَةٍ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهَا: فُسَيْلَةُ، قَالَتْ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمِنَ الْعَصَبِيَّةِ أَنْ يُحِبَّ الرَّجُلُ قَوْمَهُ؟ قَالَ: "لَا، وَلَكِنْ مِنَ الْعَصَبِيَّةِ أَنْ يُعِينَ الرَّجُلُ قَوْمَهُ عَلَى الظُّلْمِ".

هذا إسناده ضعيف

(١) قال الشيخ : لاحظ أن الأول لم يخرج لا بالسيف ولا بغيره وإنما اعتقد هذه العقيدة بخروجه عن ولي الأمر ومفارقته الجماعة .

٨ – بَابُ السَّوَادِ الْأَعْظَمِ

٣٩٥٠ – حَدَّثنَا الْعَبَّاسُ بْنُ عُثْمَانَ الدِّمَشْقِيُّ، حَدَّثنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، حَدَّثنَا مُعَانُ بْنُ رِفَاعَةَ السَّلَامِيُّ، حَدَّثَنِي أَبُو خَلَفٍ الْأَعْمَى أنه سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "إِنَّ أُمَّتِي لَن تَجْتَمِعُ عَلَى ضَلَالَةٍ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ الاخْتِلَاف فَعَلَيْكُمْ بِالسَّوَادِ الْأَعْظَمِ".

هذا الحديث فيه ضعف ولكنه مشهور على ألسنة أهل السنة .

وهنا أراد المؤلف من هذه الترجمة أن من أصول أهل السنة لزوم الجماعة .

قوله : " فَعَلَيْكُمْ بِالسَّوَادِ الْأَعْظَمِ " هذا فيه تفصيل :

الأول : مراد به جملة الناس ومعظمهم الذين يجتمعون على طاعة السلطان ، ويشهد لهذا المعنى إخبار النبي ﷺ عن افتراق الناس فسأله حذيفة ماذا يصنع فقال: "الزم جماعة المسلمين وإمامهم" فهذا هو السواد الأعظم .

ويشير إلى ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ** ﴾ [١] وأولو الأمر هنا هم أهل الحل والعقد، وهذا يعني وجود جماعة وإمام ، فالله عز وجل ينهاهم أن يتحدثوا عن شيء هو من خصائص الإمام ومن خصائص أهل الحل والعقد ويأمرهم أن يردوا ذلك إليهم لأنهم الأعرف به من غيرهم .

الثاني : كون الإنسان على الحق ولو كان وحده كقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ** ﴾ فإنه عليه الصلاة والسلام كان وحده على الحق ثم آمن له لوط كما أخبر الله بذلك فقال :﴿ **فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞۘ** ﴾ [٢]

ونقول بذلك في الحالة الثانية حينما قال حذيفة للنبي "فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام قال فاعتزل تلك الفرق كلها ..." فطالما كان العبد على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه فهو السواد الأعظم وإن كان وحده .

(١) سورة النساء آية ٨٣

(٢) سورة العنكبوت آية ٢٦

٩ – بَابُ مَا يَكُونُ مِنْ الْفِتَنِ

٣٩٥١ – حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ، وَعَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ رَجَاءٍ الْأَنْصَارِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَدَّادِ بْنِ الْهَادِ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، قَالَ: صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا صَلَاةً، فَأَطَالَ فِيهَا، فَلَمَّا انْصَرَفَ قُلْنَا – أَوْ قَالُوا –: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَطَلْتَ الْيَوْمَ الصَّلَاةَ! قَالَ: "إِنِّي صَلَّيْتُ صَلَاةَ رَغْبَةٍ وَرَهْبَةٍ، سَأَلْتُ اللَّهَ ﷻ لِأُمَّتِي ثَلَاثًا، فَأَعْطَانِي اثْنَتَيْنِ وَرَدَّ عَلَيَّ وَاحِدَةً، سَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ، فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُهْلِكَهُمْ غَرَقًا، فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ فَرَدَّهَا عَلَيَّ".

هذا الحديث في الصحيحين لكن من غير هذا الطريق وهو حديث مشهور وله طرق .

قوله " صَلَّيْتُ صَلَاةَ رَغْبَةٍ وَرَهْبَةٍ " : رغبة في أن يستجيب الله دعائي ورهبة في أن يرد دعائي، وهذا الحديث تفسير لقوله تبارك وتعالى: ﴿ **قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ** ﴾ [١] وقال النبي عند قوله ﴿ **عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ** ﴾ "أعوذ بوجهك" ﴿ **أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ** ﴾ قال:"أعوذ بوجهك"﴿ **أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ** ﴾ قال: هذه أهون .

لكن هاهنا أمر ينبغي التوقف عنده وتأمله وهو :

لماذ لم يعط الله نبيه ﷺ الثالثة ؟؟

فالجواب : أن السر والحكمة والله أعلم في أن الله لم يجب نبيه في أن لا يُسلَط بعضهم على بعض أن الله قد قضى كما في قوله تعالى: ﴿ **فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ** ﴾ [٢] ومما ابتلى الله به بني إسرائيل أنهم لما عبدوا العجل أمرهم عند التوبة أن يقتلوا أنفسهم[٣] حتى قُتِل منهم في ذلك اليوم سبعون ألفا إلى أن تضرع موسى إلى ربه أن يقف هذا الأمر.

(١) سورة الأنعام آية ٦٥

(٢) سورة التوبة آية ٦٩

(٣) قال الشيخ أي : يقتل بعضهم وبعضا وليس المقصود أن يقتل المرء نفسه فإن هذا لا يجوز في أي شريعة .

فحدث أن الله سلط بعضهم على بعض وقد ورد هذا في آية أخرى كما قال تعالى ﴿ **وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ** ﴾ [1]

ولما قُتِل فرعون لم يعد هناك العذاب بالاستئصال، وإنما بقي أن يبتلي الله بعض الخلق ببعض ولهذا كانت بدية الجهاد في شريعة التوراة .

وأخبر النبي ﷺ عن أمته أنها ستسلك طريق من قبلها فقال "لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراع بذراع" وحينئذ فإنه سيصيبها ما أصاب الأمم السابقة وبهذا تكون سنة كونية قدرية لا يمكن أن تتبدل ولا أن تتغير ، وهذا هو سبب عدم إجابة نبيه فيها .

ومن سنن الله القدرية في هذه الأمة أن السيف إذا وقع فيها لم يرفع ، فلما وقع السيف في زمن عثمان لم يرفع حتى يومنا هذا.

فالاقتتال بالنسبة لبني إسرائيل كان توبة من الله لهم وكان أمرا كونيا قدريا كما قال تعالى: ﴿ **وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ** ﴾.

وأما بالنسبة لأمة محمد فقد قال النبي ﷺ عن أمته: "إن أمتي أمة مرحومة " فما يصيبها في الدنيا من هذه الأمور يُكفَر بها عنهم في الآخرة .

وهذا الأمر لا يقع على أمة محمد كلها وإنما يقع على من سلك سبيل اليهود والنصارى .

بعض المفاسد المترتبة على الدخول في الفتن

الأولى : أن الفتن لا يُعرَف ما فيها من الشر إلا إذا أدبرت ، فأما إذا أقبلت فإنها تزين ويُظَنُ أن فيها خيرا وقد جاء هذا المعنى في كتاب الله فقال تعالى ﴿ **فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ**

(١) سورة البقرة آية ٢٥٣

بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [١] كلام مقتبس من شيخ الإسلام .

ولهذا كل من دخل فيها – أي: الفتن- لم يحمد عاقبة دخوله لما يحصل من الضرر في دينه ودنياه .

الثانية : الأحاديث تدل على أن الفتن تشتمل على الشبهات والشهوات ، فلا تنضبط مقاصد من دخل فيها وعقائدهم لأنهم ما بين شبهة وشهوة .

الثالثة : التنبيه إلى قوله تعالى: ﴿ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ ﴾ [٢] ويستفاد من هذه الآية أن من آثار الفتن أن يصبح المجتمع فوضى .

٣٩٥٢ – حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ شُعَيْبِ بْنِ شَابُورَ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ بَشِيرٍ، عَنْ قَتَادَةَ، أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ عَنْ أَبِي قِلَابَةَ الْجَرْمِيِّ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ زَيْدٍ، عَنْ أَبِي أَسْمَاءَ الرَّحَبِيِّ عَنْ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، عَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "زُوِيَتْ لِي الْأَرْضُ حَتَّى رَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ: الْأَصْفَرَ – أَوْ الْأَحْمَرَ – وَالْأَبْيَضَ- يَعْنِي الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ-، وَقِيلَ: إِنَّ مُلْكَكَ إِلَى حَيْثُ زُوِيَ لَكَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ اللَّهَ ﷻ ثَلَاثًا: أَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَى أُمَّتِي جُوعًا فَيُهْلِكَهُمْ بِهِ عَامَّةً، وَأَنْ لَا يَلْبِسَهُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَهُمْ بَأْسَ بَعْضٍ، وَإِنَّهُ قِيلَ لِي: إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَلَا مَرَدَّ لَهُ، وَإِنِّي لَنْ أُسَلِّطَ عَلَى أُمَّتِكَ جُوعًا فَيُهْلِكَهُمْ، وَلَنْ أَجْمَعَ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا حَتَّى يُفْنِيَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَيَقْتُلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا. وَإِذَا وُضِعَ السَّيْفُ فِي أُمَّتِي فَلَنْ يُرْفَعَ عَنْهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّ مِمَّا أَتَخَوَّفُ عَلَى أُمَّتِي أَئِمَّةً مُضِلِّينَ [٣]، وَسَتَعْبُدُ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي الْأَوْثَانَ [٤]، وَسَتَلْحَقُ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ، وَإِنَّ بَيْنَ

---

(١) سورة القصص آية ٧٩-٨٢

(٢) سورة التوبة آية ٤٧

(٣) قال الشيخ: هذا من أعظم أسباب حدوث الفتن في الأمة وهم الأئمة المضلين ويقع في هذا المنتسبون للعلم والدين.

(٤) قال الشيخ: وهنا يأتي ما يقع فيه العامة من الوقوع في الشرك.

يَدَيْ السَّاعَةِ دَجَّالِينَ كَذَّابِينَ[1]، قَرِيبًا مِنْ ثَلَاثِينَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَلَنْ تَزَالَ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ مَنْصُورِينَ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ".

قَالَ أَبُو الْحَسَنِ: لَمَّا فَرَغَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ قَالَ: مَا أَهْوَلَهُ!

قوله " وَلَنْ تَزَالَ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ مَنْصُورِينَ"

وقد أخبر النبي ﷺ عن غربة الإسلام فقال : "بدأ الإسلا غريبا وسيعود غريبا.. " والغربة هنا نوعان زمانية ومكانية ، ثم أخبر أنه سيعود ويظهر، وظهور الدين وعودته لا تأتي من فراغ وإنما لابد من أن هناك طائفة من أمته باقين على الحق ، وظهور الدين يكون في قرون معينة في جهة معينة ثم تختلف إلى جهة أخرى بحسب وجود الطائفة المنصورة، وقد أشار القرآن إلى أنه في حال اختلف الناس لابد أن يؤيد الله طائفة حيث قال تعالى: ﴿ **فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ** ﴾ [2] فلابد من وجود طائفة، فبنو إسرائيل كان فيهم طائفة منصورة وأمة محمد فيهم طائفة منصورة .

إذاً هي سنة كونية قدرية .

ولهذا قال شيخ الإسلام رحمه الله – وهذا من الفهم الدقيق– في قوله تعالى :﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ** ..... ﴾ [3] يشير إلى الطائفة المنصورة والفرقة الناجية منهم.

---

(١) قال الشيخ: وهذه من أسباب الفتن، فالدجال هو الذي يأتي بكلام يريد منك تصديقه وتكذيب النبي حتى أن بعضهم يقول: لا يجب على اليهود والنصارى اتباع النبي ولا ريب أن هذا من الدجالين الأفاكين الذين أشار إليهم النبي ﷺ .

(٢) سورة الصف آية ١٤

(٣) سورة البقرة آية ٦٢

٣٩٥٣ - حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ زَيْنَبَ ابْنَةِ أُمِّ سَلَمَةَ، عَنْ حَبِيبَةَ، عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، أَنَّهَا قَالَتْ: اسْتَيْقَظَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُحْمَرٌّ وَجْهُهُ، وَهُوَ يَقُولُ: "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدْ اقْتَرَبَ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ" وَعَقَدَ بِيَدِهِ عَشَرَةً." قَالَتْ زَيْنَبُ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: "إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ".

هذا الحديث فيه إشارة إلى كثرة القتل لأن أعظم صفات يأجوج ومأجوج هي القتل ، فالنبي ﷺ أشار بيده ومقصوده ما يحدث بعده من كثرة القتل .

٣٩٥٤ - حَدَّثَنَا رَاشِدُ بْنُ سَعِيدٍ الرَّمْلِيُّ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، عَنْ الْوَلِيدِ ابْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ أَبِي السَّائِبِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ الْقَاسِمِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "سَتَكُونُ فِتَنٌ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، إِلَّا مَنْ أَحْيَاهُ اللَّهُ بِالْعِلْمِ".

هذا الحديث إسناده ضعيف لكن معناه صحيح .

قوله : " يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا " أي : محرما لدم أخيه المسلم

قوله : " وَيُمْسِي كَافِرًا " أي : محلا لدم أخيه المسلم .

لأنك إذا جمعت طرق الحديث لتبين لك هذا المعنى .

وأشار القرآن إلى هذا المعنى وأن العبد قد يكون بين الإيمان والكفر في قوله تعالى: ﴿ **هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ** ﴾ [١] فهو يتأرجح بين الإيمان والكفر .

قوله : " إِلَّا مَنْ أَحْيَاهُ اللَّهُ بِالْعِلْمِ " فإن العلماء ينجون من هذه الفتن بسبب علمهم وقد مر معنا قوله تعالى : "قال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير..." وقد أشار إلى ذلك النبي فقال : "إن الله لا ينتزع هذا العلم انتزاعا من صدور العلماء وإنما يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبقعالما اتخذ الناس رؤوسا جهلا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا".

---

(١) سورة آل عمران آية ١٦٧

٣٩٥٥ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، وَأَبِي، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ شَقِيقٍ عَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ عُمَرَ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ يَحْفَظُ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْفِتْنَةِ؟ قَالَ حُذَيْفَةُ: فَقُلْتُ: أَنَا، قَالَ: إِنَّكَ لَجَرِيءٌ، قَالَ: كَيْفَ؟ قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: "فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ وَجَارِهِ تُكَفِّرُهَا الصَّلَاةُ وَالصِّيَامُ وَالصَّدَقَةُ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنْ الْمُنْكَرِ". فَقَالَ عُمَرُ: لَيْسَ هَذَا أُرِيدُ، إِنَّمَا أُرِيدُ الَّتِي تَمُوجُ كَمَوْجِ الْبَحْرِ. فَقَالَ: مَا لَكَ وَلَهَا؟ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابًا مُغْلَقًا. قَالَ: فَيُكْسَرُ الْبَابُ أَوْ يُفْتَحُ؟ قَالَ: لَا، بَلْ يُكْسَرُ. قَالَ: ذَاكَ أَجْدَرُ أَنْ لَا يُغْلَقَ. قُلْنَا لِحُذَيْفَةَ: أَكَانَ عُمَرُ يَعْلَمُ مَنْ الْبَابُ؟ قَالَ: نَعَمْ، كَمَا يَعْلَمُ أَنَّ دُونَ غَدٍ اللَّيْلَةَ، إِنِّي حَدَّثْتُهُ حَدِيثًا لَيْسَ بِالْأَغَالِيطِ. فَهِبْنَا أَنْ نَسْأَلَهُ مَنْ الْبَابُ، فَقُلْنَا لِمَسْرُوقٍ: سَلْهُ. فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: عُمَر .

قوله : " فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ وَجَارِهِ تُكَفِّرُهَا الصَّلَاةُ وَالصِّيَامُ وَالصَّدَقَةُ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنْ الْمُنْكَرِ" يشير إلى قول الله تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ﴾ [١]

قوله : " تَمُوجُ " من قوله تعالى: ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ﴾ [٢] وفيه إشارة إلى كثرة القتل وسفك الدماء .

قوله : " إِنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابًا مُغْلَقًا " فيه التنبيه على أن ولي الأمر في أي مجتمع –وكل مجتمع بحسبه – هو الباب لمجتمعه، **ومعنى ذلك** بسبب وجود ولي الأمر تحصل البركات وتحصل مصلاح الدين والدنيا ، وقد أشار القرآن إلى أن وجود ولي الأمر يدفع عن الناس شر عظيم في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا

(١) سورة هود آية ١١٤

(٢) سورة الكهف آية ٩٩

لَبِثُواْ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ ﴾ [1] فبعد موت ولي الأمر حصل الشر وحصلت الفتن وخرج الشياطين وعاد السحر كما كان فوجود ولي الأمر هو كالباب فإذا ذهب انفتح على الناس أبواب الفتن.

وإذا لم يوجد ولي أمر يهاب فسوف يعتدي الناس بعضهم على بعض ، ولهذا حدثنا بعض الإخوان عن بعض البلدان التي حصلت فيها فتن كليبيا والتي كان يحكمها القذافي الظالم الفاجر ومع ذلك قالوا: كنا آمنين على أموالنا وأعراضنا، ومصالح ديننا ودنيانا قائمة، ومدارس القرآن قائمة، وبعد ما حصلت الفتنة وقُتِل ذلك الرجل حصل الافتراق وترتب عليه ذهاب مصالح الدين والدنيا وزال الأمن والأمان.

ولهذا من الحكمة الصبر على ذلك كما قال تعالى :**﴿ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ ﴾** [2] فصبروا على ظلم فرعون – الذي كان يُذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم – حتى أهلكه الله.

ولهذا كان من كلام الإمام أحمد "اصبروا حتى يستريح بر أو يستراح من فاجر" وقال الحسن : "إن الحجاج عذا الله فلا تدفعوا عذاب الله بأيديكم ولكن عليكم بالاستكانة والتضرع " أي توبوا إلى الله واستغفروه ، فإنه ما نزل بلاء إلا بذنب وما رفع إلا بتوبة.

إذاً هذا هو العلاج لا أن تصادم سنن الله تعالى.

٣٩٥٦ – حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ الْمُحَارِبِيُّ وَوَكِيعٌ، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ رَبِّ الْكَعْبَةِ، قَالَ: انْتَهَيْتُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، وَهُوَ جَالِسٌ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، وَالنَّاسُ مُجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: بَيْنَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ إِذْ نَزَلَ مَنْزِلًا، فَمِنَّا مَنْ يَضْرِبُ خِبَاءَهُ، وَمِنَّا مَنْ يَنْتَضِلُ[3]، وَمِنَّا مَنْ هُوَ فِي جَشَرِهِ[4]، إِذْ نَادَى مُنَادِيهِ: الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ. فَاجْتَمَعْنَا، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَخَطَبَنَا، فَقَالَ: "إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى مَا يَعْلَمُهُ خَيْرًا لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ مَا يَعْلَمُهُ شَرًّا لَهُمْ، وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ جُعِلَتْ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا، وَإِنَّ

---

(١) سورة سبأ آية ١٤

(٢) سورة الأعراف آية ١٣٧

(٣) قال الشيخ أي : بالسهام.

(٤) قال الشيخ: أي في ماشيته .

آخِرَهُمْ يُصِيبُهُمْ بَلَاءٌ، وَأُمُورٌ تنْكِرُونَهَا، ثُمَّ تَجِيءُ فِتَنٌ يُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تَنْكَشِفُ، ثُمَّ تَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تَنْكَشِفُ، فَمَنْ سَرَّهُ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنْ النَّارِ وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلْتُدْرِكْهُ مَوْتَتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يَأْتُوا إِلَيْهِ، وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَمِينِهِ، وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ، فَلْيُطِعْهُ مَا اسْتَطَاعَ، فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ، فَاضْرِبُوا عُنُقَ الْآخَرِ". قَالَ: فَأَدْخَلْتُ رَأْسِي مِنْ بَيْنِ النَّاسِ، فَقُلْتُ : أَنْشُدُكَ اللَّهَ! أَنْتَ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟ قَالَ: فَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى أُذُنَيْهِ، فَقَالَ: سَمِعَتْهُ أُذُنَايَ، وَوَعَاهُ قَلْبِي .

هذا الحديث في الصحيح.

وفيه إخبار النبي ﷺ بأن الله جعل عافية هذه الأمة وخيرها في أولها حيث قال : " وَإِنَّ آخِرَهُمْ يُصِيبُهُمْ بَلَاءٌ، وَأُمُورٌ تنْكِرُونَهَا" أي : يحدث اختلاف عما كان عليه الأمر في وقته ﷺ وفي وقت الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم .

أخبر النبي ﷺ أن هناك فتن بعضها أشد من بعض حيث قال:"، ثُمَّ تَجِيءُ فِتَنٌ يُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا" وختم الحديث بقوله " وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَمِينِهِ، وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ، فَلْيُطِعْهُ مَا اسْتَطَاعَ، فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ، فَاضْرِبُوا عُنُقَ الْآخَرِ" وهذا فيه التنبيه على أن من أعظم أسباب العصمة من الفتن هو لزوم طاعة السلطان وترك الخروج عليه ولزوم جماعة المسلمين وإمامهم.

١٠ – بَابُ التَّثَبُّتِ فِي الْفِتْنَةِ

٣٩٥٧ – حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الصَّبَّاحِ، قَالَا: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي حَازِمٍ، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ عُمَارَةَ بْنِ حَزْمٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "كَيْفَ بِكُمْ وَبِزَمَانٍ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ، يُغَرْبَلُ النَّاسُ فِيهِ غَرْبَلَةً، تَبْقَى حُثَالَةٌ مِنَ النَّاسِ، قَدْ مَرِجَتْ عُهُودُهُمْ وَأَمَانَاتُهُمْ، فَاخْتَلَفُوا وَكَانُوا هَكَذَا؟ " وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ– قَالُوا: كَيْفَ بِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِذَا كَانَ ذَلِكَ؟ قَالَ: "تَأْخُذُونَ بِمَا تَعْرِفُونَ، وَتَدَعُونَ مَا تُنْكِرُونَ، وَتُقْبِلُونَ عَلَى خَاصَّتِكُمْ، وَتَذَرُونَ أَمْرَ عَوَامِّكُمْ".

أراد رحمه الله أن من أصول أهل السنة ترك القتال في الفتنة .

يستفاد من هذا الحديث التنبيه والإشارة إلى فساد طريقة الخوارج ، فإنه لو كانت طريقتهم حقة لأمر النبي ﷺ المؤمنين بها ولأرشدهم إليها ، ولكنه لم يأمر به وإنما قال: " تَأْخُذُونَ بِمَا تَعْرِفُونَ، وَتَدَعُونَ مَا تُنْكِرُونَ، وَتُقْبِلُونَ عَلَى خَاصَّتِكُمْ، وَتَذَرُونَ أَمْرَ عَوَامِّكُمْ " وهذا هو حكم الله فيما إذا مرجت عهود الناس وآمانتهم وظهر الفساد ، ولا يوجد لا في الكتاب ولا في السنة حديث واحد يأمر بحمل السلاح على المسلم .

ويأتي التفصيل في هذا الحديث عند قول المؤلف باب في العزلة .

٣٩٥٨ – حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدَةَ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ أَبِي عِمْرَانَ الْجَوْنِيِّ، عَنْ الْمُشَعَّثِ بْنِ طَرِيفٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "كَيْفَ أَنْتَ يَا أَبَا ذَرٍّ وَمَوْت يُصِيبُ النَّاسَ، حَتَّى يُقَوَّمَ الْبَيْتُ بِالْوَصِيفِ؟[1] " –يَعْنِي الْقَبْرَ– قُلْتُ: مَا خَارَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ – أَوْ قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ – قَالَ: "تَصَبَّرْ" قَالَ:"كَيْفَ أَنْتَ وَجُوع يُصِيبُ النَّاسَ حَتَّى تَأْتِيَ مَسْجِدَكَ فَلَا تَسْتَطِيعَ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى فِرَاشِكَ، وَلَا تَسْتَطِيعَ أَنْ تَقُومَ مِنْ فِرَاشِكَ إِلَى مَسْجِدِكَ؟ " قَالَ، قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ – أَوْ مَا خَارَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ – قَالَ: "عَلَيْكَ بِالْعِفَّةِ" ثُمَّ قَالَ: "كَيْفَ أَنْتَ وَقَتْل يُصِيبُ النَّاسَ حَتَّى تَغْرَقَ حِجَارَةُ الزَّيْتِ

(١) قال الشيخ: يصبح سعره قليل لا قيمة له

بِالدَّمِ؟[١] " قُلْتُ: مَا خَارَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ. قَالَ: "الْحَقْ بِمَنْ أَنْتَ مِنْهُ" قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا آخُذُ بِسَيْفِي فَأَضْرِبَ بِهِ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ؟ قَالَ: "شَارَكْتَ الْقَوْمَ إِذًا، وَلَكِنْ ادْخُلْ بَيْتَكَ" قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنْ دُخِلَ بَيْتِي؟ قَالَ: "إِنْ خَشِيتَ أَنْ يَبْهَرَكَ شُعَاعُ السَّيْفِ، فَأَلْقِ طَرَفَ رِدَائِكَ عَلَى وَجْهِكَ، فَيَبُوءَ بِإِثْمِهِ وَإِثْمِكَ، فَيَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ".

هذا الحديث فيه فوائد :

- فيه التنبيه إلى أن الاجتهاد السائغ لا يبلغ مبلغ الفتنة والفرقة ، إلا مع البغي لا مجرد الاجتهاد[٢] .

- ينبغي التنبه إلى أن قتال الخوارج ونحوهم من الطوائف الممتنعة ليس من قتال الفتنة ، وأن قتالهم يكون مع أئمة العدل والجور وأن الشارع إنما أمر بقتال الخوارج ولم يأمر بقتال أئمة الجور ومثله قتال قطاع الطرق إذا امتنعوا على السلطان [٣] .

قوله : "أَفَلَا آخُذُ بِسَيْفِي" أمره النبي ﷺ إذا صارت الأمور بهذه المثابة أن لا يأخذ سيفه ولذا جاء في حديث آخر قال "كن عبد الله القاتل ولا تكن عبد الله المقتول" وهذا يكون في حال الفتنة التي لا يتبين فيها الصواب .

فإن قال قائل ماذا يقال في قول النبي ﷺ "فإن قتلك فأنت شهيد" ؟

فالجواب : يقال هذا ليس في حال الفتنة وإنما في دفع الصائل، كأن يأتيك لص فإن قاتلته فقتلته كان في النار ، وإن قتلك فأنت شهيد.

أما في حال الفتنة التي تموج في الناس كموج البحر فكن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل وأصل هذه المسألة هو ما قاله النبي ﷺ : "كن كأحد ابني آدم " قال تعالى: **﴿ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ ﴾** [٤]

---

(١) قال الشيخ : هذا حدث في زمن يزيد بن معاوية

(٢) هذا مقتبس من كلام شبخ الإسلام بن تيمية

(٣) مقتبس من كلام شيخ الإسلام بن تيمية

(٤) سورة المائدة آية ٢٨

٣٩٥٩ – حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا عَوْفٌ، عَنْ الْحَسَنِ، حَدَّثَنَا أَسِيدُ بْنُ الْمُتَشَمِّسِ حَدَّثَنَا أَبُو مُوسَى، حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "إِنَّ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ لَهَرْجًا" قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْهَرْجُ؟ قَالَ: "الْقَتْلُ، الْقَتْلُ" فَقَالَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا نَقْتُلُ الْآنَ فِي الْعَامِ الْوَاحِدِ مِنْ الْمُشْرِكِينَ كَذَا وَكَذَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَيْسَ بِقَتْلِ الْمُشْرِكِينَ، وَلَكِنْ يَقْتُلُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، حَتَّى يَقْتُلَ الرَّجُلُ جَارَهُ وَابْنَ عَمِّهِ وَذَا قَرَابَتِهِ" فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَعَنَا عُقُولُنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "لَا، تُنْزَعُ عُقُولُ أَكْثَرِ ذَلِكَ الزَّمَانِ، وَيَخْلُفُ لَهُ هَبَاءٌ مِنْ النَّاسِ لَا عُقُولَ لَهُمْ". ثُمَّ قَالَ الْأَشْعَرِيُّ: وَايْمُ اللَّهِ، إِنِّي لَأَظُنُّهَا مُدْرِكَتِي وَإِيَّاكُمْ، وَايْمُ اللَّهِ، مَا لِي وَلَكُمْ مِنْهَا مَخْرَجٌ إِنْ أَدْرَكَتْنَا فِيمَا عَهِدَ إِلَيْنَا نَبِيُّنَا ﷺ ، إِلَّا أَنْ نَخْرُجَ منها كَمَا دَخَلْنَا فِيهَا.

فيه دليل على أن من يدعو إلى إثارة القتال بين المسلمين أنه سفيه كما قال تعالى: ﴿ **إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ** ﴾ [١] وأنه لا عقل كما قال النبيﷺ : " تُنْزَعُ عُقُولُ أَكْثَرِ ذَلِكَ الزَّمَانِ" ولهذا قال شيخ الإسلام في وقت الفتن لا يكاد يظهر الحق ويتبين ويمكن أن يعلمه المرء .

خصوصا إذا كان الإنسان صاحب هوى –نسأل الله العافية – ، فصاحب الهوى لا يوفق للصواب .

ولهذا كان من طريقة أهل البدع أنهم يتوبون من بدعة لكنهم يمرقون في بدعة أخرى .

وفيه التنبيه إلى أن الفتن لا يُعرفُ فيها الحق من الباطل .

قوله في أول الباب: "وَتَذَرُونَ أَمْرَ عَوَامِّكُمْ " فيه فائدة وهي:

في قـــــول الله تعـــــالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ** ﴾ [٢]

تفسيران:

الأول: ما جاء في حديث أبي بكر حيث قال: "يا أيها الناس، إنكم تقرؤون هذه الآية :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ وإنكم تضعونها على غير موضعها ، وإني سمعت رسول الله ﷺ ، يَقُولُ: "إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الْمُنْكَرَ لا يُغَيِّرُوهُ أَوْشَكَ اللهُ أَنْ يَعُمَّهُمْ بِعِقَابِهِ" .

(١) سورة البقرة آية ١٣٠

(٢) سورة المائدة آية ١٠٥

فهذه هي **الحالة الأولى**. قال شيخ الإسلام: تكون هذه الحالة عند قوة المسلمين وظهورهم.

الحالة الثانية: ما جاء في حديث ثعلبة "أن النبي ﷺ قال: "إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متباعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بخويصة نفسك ودع عنك أمر العامة"

قال شيخ الإسلام: "فإذا قوي أهل الفجور فلم يبق لهم إصغاء إلى البر بل يؤذون الناهي لغلبة الشح والهوى سقط التغيير باللسان وبقي بالقلب" وهذا معنى قوله "دع عنك أمر العامة".

وهذا في حال تأمر أوتنهى ولا يُسمع لك، ولهذا قال تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴾ [1]

٣٩٦٠ – حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا صَفْوَانُ بْنُ عِيسَى، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ عُبَيْدٍ مُؤَذِّنُ مَسْجِدِ جرْدَانَ قَالَ: حَدَّثَتْنِي عُدَيْسَةُ بِنْتُ أُهْبَانَ، قَالَتْ: لَمَّا جَاءَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ هَاهُنَا، الْبَصْرَةَ، دَخَلَ عَلَى أَبِي، فَقَالَ: يَا أَبَا مُسْلِمٍ، أَلَا تُعِينُنِي عَلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: فَدَعَا جَارِيَةً لَهُ، فَقَالَ: يَا جَارِيَةُ، أَخْرِجِي سَيْفِي. قَالَ: فَأَخْرَجَتْهُ، فَسَلَّ مِنْهُ قَدْرَ شِبْرٍ، فَإِذَا هُوَ خَشَبٌ، فَقَالَ: إِنَّ خَلِيلِي وَابْنَ عَمِّكَ ﷺ عَهِدَ إِلَيَّ "إِذَا كَانَتْ الْفِتْنَةُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فَاتَّخِذْ سَيْفًا مِنْ خَشَبٍ" فَإِنْ شِئْتَ خَرَجْتُ مَعَكَ. قَالَ: لَا حَاجَةَ لِي فِيكَ، وَلَا فِي سَيْفِكَ.

إسناده جيد .

وما فعله أهبان هو الذي أخذ به جمع من الصحابة كابن عمر وسعد وأسامة وغيرهم رضي الله عنهم، فاعتزلوا الفتنة التي جرت بين علي ومعاوية رضي الله عنهم ، لأن النبي ﷺ نهى عن الدخول فيها ، لأنه قتال بين المسلمين ، وخلافهم لم يكن على تنزيل القرآن وإنما على تأويله وفهمه .

وليس معنى هذا أن الحق لم يكن مع علي رضي الله عنه ، بل كان الحق معه وهذا أمر لا ريب فيه ، لكن القتال مع علي رضي الله عنه شيء وأن الحق معه شيء آخر فإنه كان خليفة ، لكن القتال معه يحتاج إلى نص ولا يوجد نص من النبي ﷺ في القتال معه ، وإنما يوجد نص من النبي ﷺ بالاعتزال .

وهذا الذي قاله علي رضي الله عنه بعد مضي زمن، فإنه تمنى أنه لم يدخل في الفتنة وكان ابنه الحسن رضي لله عنه يوصي أباه بعدم الدخول في الفتنة.

---

(١) سورة الأعلى آية ١٠

وهذا فيه أنه ليس هناك أحدا دخل في الفتن وحمد عاقبتها سواء كان عليا أو معاوية أو غيرهما.

قال شيخ الإسلام : هذا بخلاف قتالهم للخوارج فكلهم حمدوه وأقروه.

فحمدوه وأقروه لوجود النص من النبي ﷺ.

فأخرج هذا الصحابي سيفا من خشب يريد بذلك أن لن يدخل معه في الفتنة .

٣٩٦١ - حَدَّثَنَا عِمْرَانُ بْنُ مُوسَى اللَّيْثِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جُحَادَةَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ ثَرْوَانَ، عَنْ هُزَيْلِ بْنِ شُرَحْبِيلَ عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنْ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنْ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنْ السَّاعِي، فَكَسِّرُوا قِسِيَّكُمْ، وَقَطِّعُوا أَوْتَارَكُمْ، وَاضْرِبُوا بِسُيُوفِكُمْ الْحِجَارَةَ، فَإِنْ دُخِلَ عَلَى أَحَدِكُمْ، فَلْيَكُنْ كَخَيْرِ ابْنَيْ آدَمَ".

تقدم أن معنى " كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ" فتن لا يعرف فيها الحق من الباطل ، وتقدم أيضا قوله عمية، وقول الله تعالى: ﴿ وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُواْ ﴾

قوله : " الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنْ الْقَائِمِ " ورد في رواية "النائم فيها خير من اليقظان" .

وفيه التنبيه إلى الفرار من الفتنة وذلك بتجنبها والهرب منها وترك المشاركة فيها لأي سبب من الأسباب، وأن خطرها على المرء بحسب تعلقه بها .

٣٩٦٢ – حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، عَنْ حَمَّادِ ابْنِ سَلَمَةَ، عَنْ ثَابِتٍ – أَوْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدِ بْنِ جُدْعَانَ، شَكَّ أَبُو بَكْرٍ – عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةٌ وَفُرْقَةٌ وَاخْتِلَافٌ، فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ، فَأْتِ بِسَيْفِكَ أُحُدًا، فَاضْرِبْهُ حَتَّى يَنْقَطِعَ، ثُمَّ اجْلِسْ فِي بَيْتِكَ حَتَّى تَأْتِيَكَ يَدٌ خَاطِئَةٌ، أَوْ مَنِيَّةٌ قَاضِيَةٌ". فَقَدْ وَقَعَتْ، وَفَعَلْتُ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ .

في هذا التنبيه إلى أن الإنسان يلزم بيته في الفتن ، ووقد أشار القرآن إلى هذا في قوله تعالى: ﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [١] وهذه القصة قصها الله لنا لنعتبر بها وليس من أجل معرفة ما قالته النملة .

ففي حال الفتن وأمور لا قبل للإنسان بها ، فالخير في أن يلزم بيته ، وهكذا كان السلف رحمهم الله تعالى في حال الفتنة يلزمون بيوتهم ولا يخرجون حتى لصلاة الجماعة كما قال جابر: "فأصبح أحدنا لا يصلي إلا سرا" فرارا من الفتن والدخول فيها .

(١) سورة النمل آية ١٨

١١ – بَاب إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا

٣٩٦٣ – حَدَّثَنَا سُوَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا مُبَارَكُ بْنُ سُحَيْمٍ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ ابْنِ صُهَيْبٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ الْتَقَيَا بِأَسْيَافِهِمَا، إِلَّا كَانَ الْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ".

٣٩٦٤ – حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ سِنَانٍ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، عَنْ سُلَيْمَانَ التَّيْمِيِّ وَسَعِيدِ بْنِ أَبِي عَرُوبَةَ، عَنْ قَتَادَةَ؛ عَنْ الْحَسَنِ عَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا، فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ" قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا الْقَاتِلُ، فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ؟ قَالَ: "إِنَّهُ أَرَادَ قَتْلَ صَاحِبِهِ[١]".

٣٩٦٥ – حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ رِبْعِيِّ بْنِ حِرَاشٍ عَنْ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ: "إِذَا الْمُسْلِمَانِ حَمَلَ أَحَدُهُمَا عَلَى أَخِيهِ السِّلَاحَ، فَهُمَا عَلَى جُرُفِ جَهَنَّمَ، فَإِذَا قَتَلَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ، دَخَلَا جَمِيعًا".

هذه الأحاديث يصدقها قول الله تعالى ﴿ وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا ﴾ [٢] وهذا الأمر لا تهاون فيه ولا تسامح ولا عذر في الكتاب والسنة، إلا إذا قتل المسلم أخاه خطأً فهذا أمر آخر، ومع ذلك فإن هذا فيه دية وكفارة مغلظة، وقد تقدم الكلام على قوله تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا ﴾ وأن اقتتالهما لم يخرجهما عن الإيمان والتفصيل في ذلك ، وأنه إن كان القتال كما يجري بين الناس على اختلاف الأسباب فهؤلاء لا يخرجون من مسمى الإيمان ويبقون في الإسلام، أما من قتل غيره مستحلا له فهذا الذي يخرج من مسمى الإيمان.

(١) قال الشيخ: نوى وعزم وليس نوى فقط

(٢) سورة النساء آية ٩٣

٣٩٦٦ – حَدَّثَنَا سُوَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا مَرْوَانُ بْنُ مُعَاوِيَةَ، عَنْ عَبْدِ الْحَكَمِ السُّدُوسِيِّ، حَدَّثَنَا شَهْرُ بْنُ حَوْشَبٍ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "مِنْ شَرِّ النَّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، عَبْدٌ أَذْهَبَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَا غَيْرِهِ".

قوله : " عَبْدٌ أَذْهَبَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَا غَيْرِهِ " قتل غيره ليأخذ دنياه فأذهب بذلك آخرته .

١٢ – بَابُ كَفِّ اللِّسَانِ فِي الْفِتْنَةِ[١]

٣٩٦٧ – حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاوِيَةَ الْجُمَحِيُّ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ لَيْثٍ، عَنْ طَاوُسٍ، عَنْ زِيَادِ سِيْمِينْ كُوشْ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "تَكُونُ فِتْنَةٌ تَسْتَنْظِفُ الْعَرَبَ، قَتْلَاهَا فِي النَّارِ، اللِّسَانُ فِيهَا أَشَدُّ مِنْ وَقْعِ السَّيْفِ".

هذا الحديث فيه ضعف ولكن معناه صحيح .

فيه التنبيه على أن الفتن بالسلاح لابد أن يسبقها كلام ، فإنها لا تبدأ هكذا مباشرة وإنما لابد أن يسبقها تهييج وإثارة وإيغار للصدور وغيرها .

وأشار القرآن إلى أن الكلام سبب لصلاح الأعمال أوفسادها في قوله تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۝٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ** ..... ﴾[٢] ففيه إشارة إلى أن القول الغير السديد الذي لا يرضى الله عنه سبب لفساد الأعمال.

ولهذا روى الترمذي أن النبي ﷺ قال : " إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان فتقول اتق الله فينا فإنما نحن بك فإن استقمت استقمنا وإن اعوججت اعوججنا.." وقد قال النبي ﷺ "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت".

إذاًالكلام في الفتنة لا يعذر الإنسان به .

٣٩٦٨ – حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَارِثِ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ ابْنُ الْبَيْلَمَانِيِّ ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِيَّاكُمْ وَالْفِتَنَ، فَإِنَّ اللِّسَانَ فِيهَا مِثْلُ وَقْعِ السَّيْفِ".

روى ابن أبي شيبة بإسناد صحيح عن حذيفة : "قال وكلت الفتنة لثلاثة : بالجاد النحرير الي لا يريد أن يرتفع له شيء إلا قمعه بالسيف وبالخطيب الذي يدعو إليه الأمور، وبالشريف المذكور ، فأما الجاد النحرير فتصرعه ، وأما هذان فتبلو ما عندهما".

---

(١) نذكر في ذلك قوله تعالى : يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم" بماذا يبغونهم الفتنة ؟ فالجواب: يبغونهم الفتنة بالكلام .

(٢) سورة الأحزاب آية ٦٩ ، ٧٠

٣٩٦٩ – حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بِشْرٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ أَبِيهِ عَلْقَمَةَ بْنِ وَقَّاصٍ، قَالَ: مَرَّ بِهِ رَجُلٌ لَهُ شَرَفٌ، فَقَالَ لَهُ عَلْقَمَةُ: إِنَّ لَكَ رَحِمًا، وَإِنَّ لَكَ حَقًّا، وَإِنِّي رَأَيْتُكَ تَدْخُلُ عَلَى هَؤُلَاءِ الْأُمَرَاءِ، وَتَتَكَلَّمُ عِنْدَهُمْ بِمَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَتَكَلَّمَ بِهِ، وَإِنِّي سَمِعْتُ بِلَالَ بْنَ الْحَارِثِ الْمُزَنِيَّ، صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ، مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، فَيَكْتُبُ اللَّهُ ﷻ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سُخْطِ اللَّهِ، مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، فَيَكْتُبُ اللَّهُ ﷻ عَلَيْهِ بِهَا سُخْطَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ". قَالَ عَلْقَمَةُ: فَانْظُرْ وَيْحَكَ مَاذَا تَقُولُ، وَمَاذَا تَكَلَّمُ بِهِ، فَرُبَّ كَلَامٍ قَدْ مَنَعَنِي أَنْ أَتَكَلَّمَ بِهِ مَا سَمِعْتُ مِنْ بِلَالِ بْنِ الْحَارِثِ.

فيه أن الكلام قد يحبط عمل الإنسان ولهذا قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [١] وقد يسخط الله على العبد بسبب كلمة تكلم بها ، بل قد يكفر الإنسان بالكلمة وتخرجه من الملة .

٣٩٧٠ – حَدَّثَنَا أَبُو يُوسُفَ الصَّيْدَلَانِيُّ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الرَّقِّيُّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ،عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سُخْطِ اللَّهِ، لَا يَرَى بِهَا بَأْسًا، فَيَهْوِي بِهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ سَبْعِينَ خَرِيفًا"

٣٩٧١ – حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ، حَدَّثَنَا أَبُو الْأَحْوَصِ، عَنْ أَبِي حَصِينٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَسْكُتْ".

٣٩٧٢ – حَدَّثَنَا أَبُو مَرْوَانَ مُحَمَّدُ بْنُ عُثْمَانَ الْعُثْمَانِيُّ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَاعِزٍ الْعَامِرِيِّ أَنَّ سُفْيَانَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الثَّقَفِيَّ قَالَ:

---

(١) سورة الحجرات آية ٢

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، حَدِّثْنِي بِأَمْرٍ أَعْتَصِمُ بِهِ. قَالَ: "قُلْ: رَبِّيَ اللَّهُ، ثُمَّ اسْتَقِمْ". قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَكْثَرُ مَا تَخَافُ عَلَيَّ؟ فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِلِسَانِ نَفْسِهِ، ثُمَّ قَالَ: "هَذَا".

فيه إشارة إلى قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ﴾ [1]

وفيه إشارة إلى أن أكثر ما يفسد عمل الإنسان ويحبط حسناته لسانه .

وفيه التنبيه على أن الإنسان يجب عليه أن يحذر من تلقي الكلام ونشره من غير العلم بحقيقته ، وهذا مما اشتهر في زماننا وهو ما يسمى بـ(الإشاعة) فيُخشى على الإنسان إذا فعل هذا أن يحبط عمله بذلك .

فينبغي للمؤمن أن يحفظ لسانه، فبحفظه للسانه يحفظ عمله وبإطلاقه للسانه يُذهب عمله كما هو في الحديث الآتي .

(١) سورة فصلت آية ٣٠

٣٩٧٣ – حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عُمَرَ الْعَدَنِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ أَبِي النُّجُودِ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ وَنَحْنُ نَسِيرُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي مِنْ النَّارِ. قَالَ: "لَقَدْ سَأَلْتَ عَظِيمًا، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ: تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ" ثُمَّ قال: "أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ النَّارَ الْمَاءُ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ من جَوْفِ اللَّيْلِ" ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٦ – ١٧]، **ثُمَّ قَالَ: "أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ؟..... الْجِهَادُ"، ثُمَّ قَالَ: "أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟ " قُلْتُ: بَلَى. فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ فَقَالَ: "تَكُفُّ عَلَيْكَ هَذَا" قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ قَالَ: "ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وهَلْ يُكِبُّ النَّاسَ عَلَى وُجُوهِهِمْ فِي النَّارِ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟! ".**

لما ذكر النبي ﷺ جملة من الأعمال الصالحة قال : " أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟ " يستنبط منه فائدة جميلة جدا وهو أن ملاك ذلك كله هو قوله : " تَكُفُّ عَلَيْكَ هَذَا " .

وفيه التنبيه على أن أعظم الأعمال بعد الفرائض هو ملازمة ذكر الله حتى أن شيخ الإسلام قال: "يكاد أن يكن هذا إجماعا بين أهل العلم "، ويشهد له قوله " أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟ " ولهذا لما سأل النبي ﷺ رجلٌ فقال : "إن شرائع الإسلام قد كثرت علي فأخبرني بشيء أتشبث به[1] قال: لايزال لسانك رطبا من ذكر الله ".

(١) قال الشيخ: معنى أتشبث به : شيء يجمع لي ذلك كله

٣٩٧٤ – حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ خُنَيْسٍ الْمَكِّيُّ، سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ حَسَّانَ الْمَخْزُومِيَّ قَالَ: حَدَّثَتْنِي أُمُّ صَالِحٍ، عَنْ صَفِيَّةَ ابِنْةَ شَيْبَةَ عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "كَلَامُ ابْنِ آدَمَ عَلَيْهِ لَا لَهُ، إِلَّا الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنْ الْمُنْكَرِ، وَذِكْرَ اللَّهِ ﷻ".

هذا الحديث ضعيف ، ولكن يصدقه القرآن حيث قال الله تعالى : ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾ [١] فقوله : " كَلَامُ ابْنِ آدَمَ عَلَيْهِ لَا لَهُ " مثل قوله "لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ" فإن معنى نجواهم أي : كلامهم .

٣٩٧٥ – حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا خَالِي يَعْلَى، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِي الشَّعْثَاءِ، قَالَ: قِيلَ لِابْنِ عُمَرَ: إِنَّا نَدْخُلُ عَلَى أُمَرَائِنَا فَنَقُولُ الْقَوْلَ، فَإِذَا خَرَجْنَا قُلْنَا غَيْرَهُ! قَالَ: كُنَّا نَعُدُّ ذَلِكَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ النِّفَاقَ.

ويشهد لهذا قول الله تعالى:﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ ﴾ [٢]

قال شيخ الإسلام : "وأما أهل العلم والدين[٣] والفضل فلا يرخصون لأحد فيما نهى الله عنه من معصية ولاة الأمور وغشهم والخروج عليهم بوجه من الوجوه كما قد عرف من عادات أهل السنة والدين قديما وحديثا ومن سيرة غيرهم"[٤] .

وأشار القرآن إلى هذا المعنى وهذا المنهج وأن الإنسان إذا استُأمِن من قِبل ولي الأمر فإنه يجب عليه أن يكون أمينا غير خائن ولو كان ولي الأمر هذا كافرا في قصة يوسف عليه السلام ، فإن يوسف عليه السلام سئل عن الرؤيا التي رآها الملك ، وتلك الرؤيا لم تكن مجرد رؤيا وإنما كان يترتب عليها بقاء الدولة أو ذهابها ، ومع ذلك عبر لهم يوسف عليه السلام الرؤيا ثم بين لهم الطريقة الصحيحة والمناسبة للحفاظ على اقتصاد الدولة .

---

(١) سورة النساء آية ١١٤

(٢) سورة النساء آية ٨١

(٣) لاحظ أنه لم يقل أهل العلم فقط وإنما أضاف الدين لأن هناك من الناس من لديه علم ولكن ليس لديه دين.

(٤) مجموع الفتاوى ١٢/٣٥

فذكر لهم السبع السنين السمان ثم السبع السنين العجاف ثم دعاه الملك وقربه وقال له أنت مُمَكَّنٌ عندي فطلب يوسف أن يجعله على خزائن الأرض .

وهنا **ملحظ مهم** وهو أن يوسف لم يبتدئ هذا الأمر وإنما عُرِض عليه فاختار هذا الأمر .

ويستفاد من هذا أن الدخول في حكم الكافر لا يناقض التوحيد إلا عند فعل ما يناقض التوحيد، فإن يوسف عليه السلام دخل في حكم الكافر ومع ذلك قال: ﴿ **وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ** ﴾[1] إلا أن هذا الملك من فضل الله عليه أنه لم يعادِ يوسف في عقيدته ولم يمنعه من نشرها-كما فعل فرعون مع موسى حينما طلب موسى عليه السلام أن يخلي بينه وبين قومه فرفض فرعون- ، ولم يمنعه من الدعوة إلى الله مع أنه لم يدخل في الإسلام فثبت ملكه .

والدليل على أن يوسف عليه السلام كان ينشر دعوته بينهم ولم يعارضه الملك هو قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ** ﴾[2]

الشاهد أن يوسف عليه السلام مُكِن من هذا الرجل .

ولهذا لولا أن المفسرين قالوا أن هذا الملك ليس من الفراعنة وإنما أتى من الشام من الأقسوس لقلنا أن الله أطلق عليه اسم الملك[3] وأنه استثني من الفراعنة ولم يسم فرعونا وإنما سمي ملكا لأنه لم يعادِ العقيدة وأهلها.

ولهذا تجدون الدول في أوروبا الآن قد مكن الله لهم لأنهم لا يعادون الإنسان في إظهار عقيدته ولا يجبرون الإنسان على تغيير عقيدته، بل ربما سمحوا بالمساجد.

ولهذا كان من أعظم أسباب سقوط الدولة العثمانية حربها لأهل التوحيد في نجد، وإلا فإن الأمور قبل ذلك كانت تسير، على ما عندهم من بدع وضلالات وخرافات، وكان ما يحصل بينهم وبين الدول الأخرى هو من باب المدافعة فقط، ولكنهم لما حاربوا أهل التوحيد سقطت الدولة وهذه سنة الله تعالى.

---

(١) سورة يوسف آية ٣٨

(٢) سورة غافر آية ٣٤

(٣) قال الشيخ: كلمة الملك ليس فيها ثناء وليس فيها ذم وإنما تكون كذلك على حسب الحال .

٣٩٧٦ج – حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ شُعَيْبِ بْنِ شَابُورَ، حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ، عَنْ قُرَّةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَيْوَيلَ، عَنْ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :"مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ".

هذا الحديث قيل أنه ليس له إسناد ومع ذلك فهو من الأحاديث المقبولة عند أهل العلم حتى عده بعض أهل العلم ثلث الإسلام .

الحكمة من إيراد المؤلف لهذا: أن من الأشياء التي يؤمر بها الإنسان حال عيشه في أي مجتمع حتى يَسلم ويَسلم غيرُه أن يترك ما لا يعنيه .

قال شيخ الإسلام : فإن أكثر كلام الناس في بعضهم لبعض دافعه الحسد أو الرئاسة ، ولهذا قال صاحب الشريعة "من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه"

١٣ – بَابُ الْعُزْلَةِ

٣٩٧٧ – حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الصَّبَّاحِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي حَازِمٍ، أَخْبَرَنِي أَبِي، عَنْ بَعَجَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَدْرٍ الْجُهَنِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "خَيْرُ مَعَايِشِ النَّاسِ لَهُمْ، رَجُلٌ مُمْسِكٌ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، يَطِيرُ عَلَى مَتْنِهِ، كُلَّمَا سَمِعَ هَيْعَةً أَوْ فَزْعَةً طَارَ عَلَيْهِ، يَبْتَغِي الْمَوْتَ وَالْقَتْلَ مَظَانَّهُ، وَرَجُلٌ فِي غُنَيْمَةٍ فِي رَأْسِ شَعَفَةٍ مِنْ هَذِهِ الشِّعَافِ، أَوْ بَطْنِ وَادٍ مِنْ هَذِهِ الْأَوْدِيَةِ، يُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَيُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَيَعْبُدُ رَبَّهُ حَتَّى يَأْتِيَهُ الْيَقِينُ، لَيْسَ مِنْ النَّاسِ إِلَّا فِي خَيْرٍ".

٣٩٧٨ – حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَمْزَةَ، حَدَّثَنَا الزُّبَيْدِيُّ، حَدَّثَنِي الزُّهْرِيُّ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ اللَّيْثِيِّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ: أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: "رَجُلٌ مُجَاهِدٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ" قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: "ثُمَّ امْرُؤٌ فِي شِعْبٍ مِنْ الشِّعَابِ، يَعْبُدُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ".

الأصل فيه قول الله تعالى :﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ۝٩ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۝١٠ ﴾ [1] وقوله تعالى عن إبراهيم: ﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ .... ﴾ [2] لكن أمر العزلة والخلطة فيه تفصيل :

الحالة الأولى: أن تكون الخلطة أفضل من العزلة ، ودليلها قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ﴾ [3] ويندرج تحت ذلك أيضا حديث النبي ﷺ "المؤمن الذي يخالط الناس ويصبرعلى أذاهم خير من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم ."

وهذا في حال ترتب الخير على مخالطتهم ، ولو كان الخير قليلا.

(١) سورة الكهف آية ٩ ، ١٠

(٢) سورة مريم آية ٤٨

(٣) سورة الفرقان آية ٢٠

الحالة الثانية: هي التي أشار إليها النبي ﷺ "حتى إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخويصة نفسك ..."

قوله "ثُمَّ امْرُؤٌ فِي شِعْبٍ مِنْ الشِّعَابِ، يَعْبُدُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ": فيه دليل على أن الاعتزال يكون ليسلم الناس من شر العبد وليس ليسلم هو من شرهم.

٣٩٧٩ – حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ، حَدَّثَنِي بُسْرُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنِي أَبُو إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيُّ إِنَّهُ سَمِعَ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "يَكُونُ دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا" قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صِفْهُمْ لَنَا. قَالَ:"هُمْ قَوْمٌ مِنْ جِلْدَتِنَا، يَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا" قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: "فَالْزَمْ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ"[١]. قلت: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ! قال: "فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ كَذَلِكَ".

قوله:" دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ" ثم قوله:" فَالْزَمْ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ": يُفهم منه أن هؤلاء الدعاة يدعون إلى الافتراق، وأن الوجه الصحيح والمنهج الحق أن لا يجيبهم العبد إلى ذلك، بل يلزم جماعة المسلمين وإمامهم.

---

(١) نقل مهم عن شيخ الإسلام نقله الشيخ .

قال شيخ الإسلام : ومن المعلوم أن الناس لا يصلحون إلا بولاة ، وأنه لو تولى من هو دون هؤلاء من الملوك الظلمة لكان ذلك خيرا من عدمهم كما يقال ستون سنة مع إمام جائر خير من ليلة واحدة بلا إمام ، ويروى عن علي رضي الله عنه أنه قال : لابد للناس من إمارة برة كانت أو فاجرة ، قيل له هذه البرة قد عرفناها فما بال الفاجرة ، قال : يؤمن بها السبل، ويقام بها الحدود، ويجاهد بها العدو، ويقسم بها الفيء ذكره علي بن معبد في كتاب الطاعة والمعصية .

والناس لا يمكنهم بقاء أيام قليل بلا ولاة أمور بل كانت تفسد أمورهم . منهاج السنة١/٥٤٧–٥٤٨

وقال رحمه الله : ولهذا روي أن السلطان ظل الله في الأرض ، ويقال : ستون سنة من إمام جائر أصلح من ليلة واحدة بلا سلطان والتجربة تبين ذلك ولهذا كان السلف كالفضيل بن عياض وأحمد بن حنبل وغيرهما يقولون لوكان لنا دعوة مجابة لدعنا بها للسلطان . مجموع الفتاوى ٢٨/٣٩٠ وما بعدها .

ولهذا فإن قواعد المجتمع المسلم لا يمكن أن تقوم إلا بأمور ثلاثة :

الأول : وحدة العقيدة وهي التي أشار إليها النبي في قوله "إن الله يرضى لكم ثلاثا ويكره لكم ثلاثا أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ....."

الثاني : وحدة المنهاج والسبيل والشريعة والسنة أي : يكون فهمنا للدين واحد.

الثالث : وحدة الولاية .

هذه القواعد الثلاث يقوم بها المجتمع المسلم ، فإن لم توجد هذه القواعد أو لم توجد بعضها فإن العبد مأمور بالاعتزال لقوله "فاعتزل تلك الفرق كلها"

وفي قوله : "فاعتزل تلك الفرق كلها" إشارة إلى بطلان منهج الخوارج ، فإن النبي ﷺ لم يأمر بقتالهم مع وجود الاختلاف والافتراق وإنما أمر باعتزال تلك الفرق كلها .

وفي قوله "يفر بدينه من الفتن" فيه إشارة إلا أن المؤمن لا يعرض نفسه للفتن ، لا فتن الدين ولا فتن الدنيا ، ولهذا قال النبي ﷺ في الدجال "من سمع منكم فلينأ عنه" وانأ عنه :أي اهرب منه ، فكذلك الفتن لا يدخل المسلم ولا يحرص على الدخول فيها.

٣٩٨٠ - حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نُمَيْرٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن عبد الرحمن الْأَنْصَارِيِّ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ، وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ، يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنْ الْفِتَنِ".

٣٩٨١ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ عَلِيٍّ الْمُقَدَّمِيُّ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَامِرٍ، حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ الْخَزَّازُ، عَنْ حُمَيْدِ بْنِ هِلَالٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ قُرْطٍ عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "تَكُونُ فِتَنٌ، عَلَى أَبْوَابِهَا دُعَاةٌ إِلَى النَّارِ، فَأَنْ تَمُوتَ وَأَنْتَ عَاضٌّ عَلَى جِذْلِ شَجَرَةٍ، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَتْبَعَ أَحَدًا مِنْهُمْ".

فيه التنبيه على أن الناس إذا كانوا في فرقة واختلاف فإن الإنسان يعتزل .

٣٩٨٢ – حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَارِثِ الْمِصْرِيُّ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ، حَدَّثَنِي عُقَيْلٌ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ أَخْبَرَهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ".

٣٩٨٣ – حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ الزُّبَيْرِيُّ، حَدَّثَنَا زَمْعَةُ بْنُ صَالِحٍ، عَنْ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَالِمٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ".

مصداق هذا الحديث في كتاب الله في قصة يعقوب مع بنيه إذ قال لهم ﴿ **قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ...** ﴾[1] ثم قال: ﴿ **قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِۦٓ** ﴾[2]، وأراد ابن ماجه من إيراد هذا الحديث **معنى دقيقا** وهو أن الذي يُلدَغُ أكثر من مرة عنده ابتداع في الدين، وإلا لو كان مؤمنا لحفظه الله عز وجل، ويدل على هذا المعنى فيما يظهر لي والله أعلم قوله تعالى: ﴿ **أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ** ﴾[3] ويقول شيخ الإسلام بن تيمية : "أهل البدع أشبه ما يكون بالمنافقين" ففيه إشارة إلى نقص الإيمان ، وإلا لو كان مؤمنا لما أصابه هذا الأمر ، فلما نقص إيمانه ونقصت عناية الله له ، صارت تلدغه الأمور ولا يرعوي ولا يتوب.

---

(١) سورة يوسف آية ١٣

(٢) سورة يوسف آية ٦٦

(٣) سورة التوبة آية ١٢٦

١٤ – بَابُ الْوُقُوفِ عِنْدَ الشُّبُهَاتِ

٣٩٨٤ – حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ، عَنْ زَكَرِيَّا بْنِ أَبِي زَائِدَةَ، عَنْ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ يَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ، وَأَهْوَى بِإِصْبَعَيْهِ إِلَى أُذُنَيْهِ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "الْحَلَالُ بَيِّنٌ، وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ، اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ، وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا، وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلُحَتْ صَلُحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ".

هذا الحديث من أصول الإسلام والذي قبله، ولو أن المؤلف أضاف حديث "من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد" لكان جميلا .

قوله : "الْحَلَالُ بَيِّنٌ، وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ" ليس خاصا بالأكل والشرب والبيع والشراء ، بل هو عام في جميع أمور الدين ، فهناك أمورا بينة واضحة وهناك أمور مشتبهة لا يدرى هل هي حق أم باطل . الرجال والأئمة والعلماء منهم من يكون من الصنف الأول – أي واضح – ، ورايته راية أهل السنة .

ومنهم من يكون من الصنف الثاني فيكون مبتدعا ، كأن يكون رافضيا ...

ومنهم من يخلط بين هذا وهذا فيكون مشتبها، ولهذا قال: "وإنما أخاف على أمتي من الأئمة المضلين"

وأشار القرآن إلى هذا في قوله تعالى: ﴿ **وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ** ﴾[١]

فقوله "**جُدَد بِيضٌ**" وهو الدين الواضح كما قال النبي "تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك"

وقوله "**وَحُمْر**" ألوانها مختلطة .

وقوله "**وَغَرَابِيب سُودٌ**" هذا هو الكفر الواضح.

(١) سورة فاطر آية ٢٧

ويتبين ذلك بالآية التي بعدها حيث قال: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ [1]

فالعبد مأمور شرعا بأن يترك المشتبه ويأخذ بالبين الواضح .

ولهذا قال تعال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ ﴾ [2]

فالمؤلف ساق الحديث لأجل هذا المعنى .

٣٩٨٥ – حَدَّثَنَا حُمَيْدُ بْنُ مَسْعَدَةَ، حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنِ الْمُعَلَّى ابْنِ زِيَادٍ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ، كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ".

هذا الحديث في الصحيح.

الهرج يشمل كثرة الفتن والملهيات والمشغلات فالنبي ﷺ يقول : " الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ، كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ " ولا ريب أن الهجرة إلى النبي ﷺ من أعظم الأعمال وأجل القربات ، ففيه التنبيه على فضل العبادة في وقت غفلة الناس ، ولهذا جاءت الأحاديث على فضل صلاة الضحى لأنه وقت غفلة وهكذا فضل الصلاة في الثلث الأخير من الليل لأنه وقت نوم وغفلة ، فلهذا يعظم فعل العبادة في وقت غفلة الناس .

(١) سورة فاطر آية ٢٨

(٢) سورة آل عمران آية ٨

١٥ – بَابٌ: بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا

٣٩٨٦ – حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، وَيَعْقُوبُ بْنُ حُمَيْدِ بْنِ كَاسِبٍ وَسُوَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ، قَالُوا: حَدَّثَنَا مَرْوَانُ بْنُ مُعَاوِيَةَ الْفَزَارِيُّ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ كَيْسَانَ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ".

٣٩٨٧ – حَدَّثَنَا حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ، أَخبَرنَا عَمْرُو ابْنُ الْحَارِثِ، وَابْنُ لَهِيعَةَ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ، عَنْ سِنَانِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "إِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ" .

قال شيخ الإسلام غريبا يحتمل أمرين :

– أنه في أمكنة وأزمنة يعود غريبا بينهم ثم يظهر كما كان في أول الأمر غريبا .

– ويحتمل أنه في آخر الدنيا لا يبقى مسلم إلا قليل وهذا إنما يكون بعد الدجال ويأجوج ومأجوج.

وهنا ننبه إلى مسألة مهمة يجب أن نعيه ويعيه جميع أهل هذه البلاد ويعلموه ويدرِّسوها لأبنائهم، وهي ما ذكره شيخ الإسلام من أن الشام في زمانه كانت هي معقل الإسلام وكانت الحجاز ينتشر فيها الرفض والجهل مع أن الشام كان فيها مظاهر شرك وبدع ولكنها كانت خير من الحجاز لأن من تولى على الحجاز في ذاك الزمن هم الرافضة واستمر هذا من القرن السادس إلى **زمان** شيخ الإسلام.

ولما مات شيخ الإسلام استمر هذا الأمر إلى القرن الثاني عشر حيث هذ قامت هذه الدولة بقيادة شيخ الإسلام المجدد محمد بن عبد الوهاب وناصره وعاضده محمد بن سعود ، وهنا بدأ الإسلام غريبا من جديد فقامت الدولة السعودية الأولى وحصل خير كثير وهذا الخير فيما وقفت عليه وفيما أدين الله به لم يحدث مثلها بعد القرون الثلاثة المفضلة .

فدعوة الأنبياء وملة إبراهيم ما ظهرت وتبينت دراسة وعلما ودعوة ودولة إلا في هذه الدولة السعودية الأولى، ثم سقطت ، ثم قامت الدولة السعودية الثانية وما أن لبثت قليلا إلا وسقطت، حتى قامت الدولة السعودية الثالثة إلى عصرنا هذا.

وكلام شيخ الإسلام حق ، فإنك لو أتيت إلى المقابر في مكة ، ولو شاهدت بعض الصور قبل قيام الدولة السعودية الثالثة لرأيت القباب على المقابر حتى أصبحت القبور مثل الكعبة وكذلك المقابر في البقيع، فعادت الجاهلية ثم زالت هذه المشاهد– ولله الحمد– بعد قياد الدولة السعودية الثالثة بقيادة الملك عبد العزيز

رحمه الله، وطُهِّرت الجزيرة العربية من مظاهر الشرك والبدع ومن مظاهر التنازع والاختلاف التي ظهرت حتى في الحرم المكي حيث كانت توجد أربعة محاريب للشافعية والحنفية والمالكية والحنبلية فزالت معالم الشرك والبدعة وانبعث الإسلام من جديد ، وانتشر الخير إلى أقاصي أفريقيا والهند وصار لأهل السنة دولة ، وإلا فإن الدولة العثمانية قبلها لم تكن تُمثِل أهل السنة لما فيها من الخرافات ولذلك كثير ممن دخل الإسلام على أيديهم لم يكن يعرف العقيدة ولم يتعلموها.

وانظر إلى سنة الله تعالى ، فإنه لما أراد سقوط الدولة العثمانية التي كان فيها نوع من حماية المسلمين أقام الله الدولة السعودية فكان هذا من رحمة الله .

وتصور لو أن الله لم يُقِم هذه الدولة بعد سقوط الدولة العثمانية لأصبح المسلمون شذر مذر ، ولكن من رحمة الله أن أقام هذه الدولة .

وهذه الدولة لم تكن لتقوم لولا أن الله سبحانه وتعالى جعل الكفار على اختلاف مللهم يغفلون عنها وسبب غفلتهم هو انشغالهم بالحرب العالمية الثانية .

ولهذ قلتُ أن قيام هذه الدولة كانت كقيام خلافة أبي بكر، وخلافة أبي بكر قيل أنها فلتة – أي وقاها الله الشرور– فكذلك هذه الدولة وقاها الله الشرور.

ولذلك لما أراد طالبان أن يقيموا دولة في أفغانستان تمالأ عليهم الكفار جميعا حتى منعوهم من ذلك .

وهذا من نعمة الله علينا التي يجب علينا أن نشكره عليها ، وإلا لكنا نحن وأبناءنا وآباءنا مثل كثير من الجهلة في بعض الدول ممن يعبدون قبر البدوي وقبر زيد بن الخطاب وغيرهم.

والدين كما قال تعالى: ﴿ **وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ** ﴾[1] فالدين ليس شيئا يورث عن الأباء والأجداد وإنما هوعقيدة تدرس، وهذه العقيدة تحتاج إلى قوة، وإلا فإنها لا تقوم بدون قوة ، والكتاب لا يقوم لوحده ولذلك قال النبي ﷺ في حديث زياد: "ذاك آوان ذهاب العلم" قال زياد: يا رسول الله ! وكيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن ونقرئه أبناءنا ويقرئه أبناؤنا أبناءهم إلى يوم القيامة ؟ فقال : ثكلتك أمك زياد ! إن كنت لأراك من أفقه رجل بالمدينة ! أوليس هذه اليهود والنصارى يقرءون التوراة والإنجيل لا يعملون بشيء مما فيهما ؟"

(١) سورة آل عمران آية ٧٩

وقال تعالى: ﴿ **وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ** ﴾ [1] وهذه حال المسلمين اليوم، فإن معنى "**أَمَانِي**" أي: يتلونه فقط ولكن لا يعرفون العقيدة والسنة ويعبدون الله على غير بصيرة، وحينئذ لا ينتفعون بالقرآن ، فإن القرآن يحتاج علماء وحملة يحملونه ويبينونه ويحتاج سلطانا يعضده أما بغير هذا فإنه لا يمكن أن ينهض، ولهذا كان من فضل الله علينا أن أنعم علينا بأعظم نعمة وهي نعمة التوحيد لأن بهذه النعمة تدخل الجنة وتنجو من النار ، وكانت هذه النعمة على يد هذه الدولة .

تنبيه مهم :

وشيخ الإسلام المجدد محمد بن عبد الوهاب لم يكن موجودا في الدولة السعودية الثانية والثالثة ومع ذلك قامت هذه الدولة على التوحيد والعقيدة ، ولم يكن قيامها سياسيا كما يزعم بعضهم بل كان قياما عقديا دينيا ، وهذا الفرق بينها وبين غيرها من الدول .

فائدة:

ذكرنا فيما سبق أن الملك في زمن يوسف عليه السلام مُكِن له لأنه لم يكن يحارب العقيدة فكيف بمن يصون العقيدة ويحميها؟! فلا ريب أن هذا من أعظم أسباب ثباته: قال تعالى: ﴿ **وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا** ﴾ [2]

٣٩٨٨ – حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ وَكِيعٍ، حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "إِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ". قَالَ: قِيلَ: وَمَنْ الْغُرَبَاءُ؟ قَالَ: "النُّزَّاعُ مِنَ الْقَبَائِلِ".

فيه إشارة إلى حصول النقص في الدين ولكن يبقى من عباد الله من هو قائم لله بالحجة .

لكن هذا الحديث يذكر بأمر آخر وهو قول النبي ﷺ في الصحيحين "إن الإيمان ليأرز بين مكة والمدينة كما تأرز الحية إلى جحرها" وهذا يعني أنه يتقلص ويعود من حيث بدأ.

والواقع يصدق ذلك ، لا من حيث العقيدة والتوحيد والعلم، ولا من حيث تطبيق الشريعة والحكم بما أنزل الله فإن هذا لا يكاد أن يوجد الآن إلا في هذه البلاد مصداقا لحديث النبي ﷺ.

---

(١) سورة البقرة آية ٧٨

(٢) سورة النساء آية ٦٦

١٦ – بَابُ مَنْ تُرْجَى لَهُ السَّلَامَةُ مِنالْفِتَنِ[١]

٣٩٨٩ – حَدَّثَنَا حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي ابْنُ لَهِيعَةَ، عَنْ عِيسَى بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ: أَنَّهُ خَرَجَ يَوْمًا إِلَى مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَوَجَدَ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ قَاعِدًا عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ يَبْكِي، فَقَالَ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: يُبْكِينِي شَيْءٌ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "إِنَّ يَسِيرَ الرِّيَاءِ شِرْكٌ، وَإِنَّ مَنْ عَادَى لِلَّهِ وَلِيًّا، فَقَدْ بَارَزَ اللَّهَ بِالْمُحَارَبَةِ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْأَبْرَارَ الْأَتْقِيَاءَ الْأَخْفِيَاءَ، الَّذِينَ إِذَا غَابُوا لَمْ يُفْتَقَدُوا، وَإِنْ حَضَرُوا لَمْ يُدْعَوْا وَلَمْ يُعْرَفُوا، قُلُوبُهُمْ مَصَابِيحُ الْهُدَى، يَخْرُجُونَ مِنْ كُلِّ غَبْرَاءَ مُظْلِمَةٍ".

هذا الحديث في إسناده عبد الله بن لهيعة ورواه عنه عبد الله بن وهب ولفظه موجود في الصحيح وله شاهد من حديث معاذ رواه الحاكم وصححه ورواه البيهقي.

---

(١) قال شيخ الإسلام رحمه الله في تفسير وقصد المؤلف في قوله ترجى له السلامة من الفتن:

وكثير ما يخالط النفوس من الشهوات الخفية ما يفسد عليها تحقيق محبتها لله وعبوديتها لله وإخلاص دينها له كما قال شداد بن أوس رضي الله عنه : يا بقيايا العرب إن أخوف ما عليكم الرياء والشهوة الخفية .

قيل لأبيدواد السجستاني وما الشهوة الخفية ؟ قال حب الرئاسة .

ثم ذكر حديث "ما ذئبان جائعان أرسلا على زريبة غنم بأفسد من حرص المرء على المال والشرف لدينه الفتاوى الكبرى ١٩٦/٥

وهذا معنى من ترجى له السلامة ، وهذا فيه عبارات كثيرة عن السلف التابعين

على ان الإنسان يسلم إذا لم يكن حريصا على الشهرة .

وهذه هي الشهوة الخفية فذكرشيخ الإسلام أنه يفسد دينه من غير أن يشعر وربما وقع في الرياء

ولهذا في مسألة الإمارة قال النبي: "نعمة المرضعة وبئست الفاطمة"

الشاهد أن كلام الشيخ يفسر قوله باب من ترجى له السلامة .

٣٩٩٠ – حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ الدَّرَاوَرْدِيُّ، حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "النَّاسُ كَإِبِلٍ مِئَةٍ، لَا تَكَادُ تَجِدُ فِيهَا رَاحِلَةً".

هذا الحديث في الصحيح .

الراحلة في الإبل: هي التي إذا انطلقت في المسرح انطلقت الإبل خلفها ، وإذا ذهبت إلى المراح ذهبت الإبل خلفها فهي تدرب على أن تقود الإبل .

قوله "النَّاسُ كَإِبِلٍ مِئَةٍ، لَا تَكَادُ تَجِدُ فِيهَا رَاحِلَةً" : فيه التنبيه على الخطأ الكبير وهو إدخال العامة في أمور لم يحملهم الله إياها، وأيضا هم لا يفقهونها ولا يجيدونها .

ولهذا أفتى علماؤنا ومشايخنا بتحريم المظاهرات لأنها تدخل العامة في أمور لا يعلمون مصلحتها ولا عواقبها . فإدخال العامة في أمور هي من شؤون الخاصة وليس من شؤونهم غلط كبير، ولهذا قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٌ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ** ﴾ والنبي ﷺ يقول:"عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم"، فكل له حقوق وعليه واجبات، وليس من واجبات العامة التدخل في شؤون ولي الأمر وفي السياسة العامة فإنهم لم يخاطبوا به ولم يحملوا إياه، وكذلك الفقيه ليس له أن يتكلم في الاقتصاد والحروب وهو لا يفقه فيهما، وكذلك ليس للأمير أن يتحدث في أمر العقيدة وهو لا يفقه فيها، ولهذا التخصص موجود في الشريعة ، وكان النبي ﷺ يقدم في الجيش من تأخر إسلامه لأنه أنفع وأعلم بالحرب، وقد قال تعالى: ﴿ **وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ بَعَثَ لَكُمۡ طَالُوتَ مَلِكٗاۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ عَلَيۡنَا وَنَحۡنُ أَحَقُّ بِٱلۡمُلۡكِ مِنۡهُ وَلَمۡ يُؤۡتَ سَعَةٗ مِّنَ ٱلۡمَالِۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰهُ عَلَيۡكُمۡ وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ** ﴾ [١] قال الصحابة : العلم أي سياسة الحرب .

(١) سورة البقرة آية ٢٤٧

المقصود أن إقحام العامة في أمور لا علاقة لهم فيها هي طريقة فرعون وقومه كما قال تعالى: ﴿ **وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلۡ أَنتُم مُّجۡتَمِعُونَ ۝٣٩ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ** ﴾[1] فهم يستغلون العامة لتحقيق مآربهم .

(١) سورة الشعراء آية ٤٠

١٧ - بَابُ افْتِرَاقِ الْأُمَمِ

٣٩٩١ - حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بِشْرٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "تَفَرَّقَتْ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً".

الافتراق واضح في القرآن الكريم ، وإن كان بعض المتعالمين والأئمة المضلين يريد إنكاره ويدعي أن الأمة لم تفترق ، فهم لا يعرفون مبادئ العلم.

والله تعالى يقول: ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ﴾ ثم قال ﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴾ [١] والنبي ﷺ قال في أمته: "لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراع بذراع قبلكم ..... " فالافتراق والتقطع حصل في أمة محمد قال تعالى: ﴿ فَٱسۡتَمۡتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمۡ فَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِخَلَٰقِكُمۡ كَمَا ٱسۡتَمۡتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُم بِخَلَٰقِهِمۡ وَخُضۡتُمۡ كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْ ﴾ وقال في آية أخرى ﴿ فَلَوۡلَا كَانَ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِن قَبۡلِكُمۡ أُوْلُواْ بَقِيَّةٖ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡفَسَادِ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّنۡ أَنجَيۡنَا مِنۡهُمۡۗ ﴾ [٢] فأشار إشارة إلى الفرقة الناجية.

ومر معنا قول شيخ الإسلام في قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ ﴾ قال هؤلاء الفرقة الناجية من تلك الأمم .

إذاً الافتراق في هذه الأمة أمر كوني قدري كما قال تعالى "ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك"، فالاجتماع رحمة والافتراق عذاب .

---

(١) سورة المؤمنون آية ٥٢و ٥٣

(٢) سورة هود آية ١١٦

٣٩٩٢ - حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ بْنِ سَعِيدِ بْنِ كَثِيرِ بْنِ دِينَارٍ الْحِمْصِيُّ، حَدَّثَنَا عَبَّادُ بْنُ يُوسُفَ، حَدَّثَنَا صَفْوَانُ بْنُ عَمْرٍو، عَنْ رَاشِدِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "افْتَرَقَتْ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَافْتَرَقَتْ النَّصَارَى عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَإِحْدَى وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ" قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ هُمْ؟ قَالَ: "الْجَمَاعَةُ".

٣٩٩٣ - حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، حَدَّثَنَا أَبُو عَمْرٍو، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ افْتَرَقَتْ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَإِنَّ أُمَّتِي سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ".

٣٩٩٤ - حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، عَنْ مُحَمَّدِ ابْنِ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَتَتَّبِعُنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، بَاعًا بِبَاعٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، وَشِبْرًا بِشِبْرٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا فِي جُحْرِ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمْ فِيهِ". قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: "فَمَنْ إِذًا؟ ".

أمور مهمة في مسألة الافتراق :

أولا : الافتراق لا يكون إلا بأن تؤسس كل فرقة عقيدة مخالفة لعقيدة النبي ﷺ وأصحابه ومفاهيم جديدة مغايرة وهذا لابد منه وإلا لما أصبح افتراقا ولما أصبحت هناك فرقا وأشار القرآن إلى هذا في سورة مريم عند ذكر عيسى عليه السلام حيث قال تعالى: ﴿ فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ ﴾ [1]

المقصود أن كل حزب أسس عقيدة جديدة ، فالافتراق ملازم لاختلاف العقائد .

ثانيا : كما أن البخاري وقبله الإمام أحمد فسروا الطائفة المنصورة بأنهم أهل العلم ، فاعلم أن الافتراق كذلك هو في أهل العلم والعامة ليس لهم سنع إلا من انتصر لهذا المفارق .

---

(١) سورة مريم آية ٣٧

وتنبه لهذا لأن البعض يشبه بشبهة وهي قولهم : إذاً على هذا فكل المسلمين في النار .

والرد عليه أن نقول : من أسس فرقة تباين ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه في العقيدة هذا هو المفارق والغالب أنهم أهل علم مع أنهم منحرفون وأهل بدع ، والعامة لا يدخلون في هذا .

أما من كان من العامة من ينتصر لهذا المفارق كالرافضة وبعض الصوفية فإنه يتبعهم ، فمن كان من العامة سليم العقيدة ولا يعبد غير الله فإنه داخل في الفرقة الناجية .

إذاً الفرق تكون في أهل العلم الذين يحرفونه عن علم ، وأما العامة ففيه تفصيل فمن دخل معهم من هؤلاء فهو منهم ومن لم يدخل فلا، وبهذا يبطل قولهم أن كل المسلمين أو أغلبهم في النار .

ثم هناك أمر آخر وهو أن الله عز وجل قال : ﴿ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴾ [1] والنبي ﷺ قال :" أخرج بعث النار، قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين....." فالمقصود أن من يقول كل الناس على خير فإنه بذلك يحارب الله ورسوله ، وهذا القول يؤدي إلى القول بأن الكتاب والسنة لا حاجة لهما، والله تعالى يقول : ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ [2]

كيف يقال الناس كلهم على خير وهم يعبدون غير الله ؟! كيف يقال ذلك ومنهم من يحج إلى كربلاء والنجف ويعبدونها من دون الله.

وقائلُ هذا لم ينصح لله ولا لرسوله والنبي ﷺ يقول "الدين النصيحة قلنا لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم" فأين النصح لله ورسوله ؟

فقول أن الأمة لم تفترق وأن الأمة على خير هو قول مرجئة العصر وهم الذين يصدق قول الله فيهم:

﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ۝٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ ﴾ [3]

وهؤلاء إن أتوا إلى أمر الحكام تجدهم يقيمون الدنياولا يقعدونها ، وإذا أتوا عند أمر العقيدة والشرك لا يرفعون به رأسا لأن هذا الأمر لا يخدم مصالحهم وهذا خلاف دعوة الأنبياء.

---

(١) سورة يوسف آية ١٠٣

(٢)سورة النساء آية ٥٩

(٣) سورة المائدة آية ٧٨و٧٩

فإن الأنبياء علماء عامة ، ولهذا كان الأنبياء من بني إسرائيل[1] يأتون إلى الملك في زمانه وينصحونه بقول: أما أمر دنياك فهذا بينك وبين ربك ولكن احذر أن تتعرض للعقيدة، فإن تعرضت لها زال ملكك ، فمن سمع منهم بقي ملكه ومن حرّف في الدين لأجل مصالحهم زال ملكه.[2]

وبهذا انتهى الكلام في أمور الفتنة في الدين والابتداع المتعلقة في العلم وأهله ، والباب الآتي سيتكلم المؤلف عن فتنة المال وكأن المؤلف يشير إلى أن الانحراف ليس في الدين فقط ، وإنما قد يكون الانحراف في الدنيا ، فالمنحرف إما أن يكون مبتدعا وإما أن يكون فاجرا .

ولهذا لم يحذرنا القرآن من الشرك فقط ، وإنما حذرنا أيضا من الدنيا ولهذا قال تعالى: ﴿ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴾[3] فالدنيا خطر على الإنسان أيضا، وكثير من الخلق ضاع دينه بسبب الدنيا كما سيأتي.

---

(١) قال الشيخ: يقال أن مر عليهم ألف نبي لهذا قال تعالى "إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور إلى قوله" الذين إسلموا" فهم خلق كثير

(٢) قال الشيخ: ذكره ابن كثير

(٣) سورة فاطر آية ٥

١٨ - بَابُ فِتْنَةِ الْمَالِ

٣٩٩٥ - حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ حَمَّادٍ الْمِصْرِيُّ، أَخبرنَا اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ، عَنْ عِيَاضِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ يَقُولُ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَخَطَبَ النَّاسَ، فَقَالَ: "لَا، وَاللَّهِ مَا أَخْشَى عَلَيْكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- إِلَّا مَا يُخْرِجُ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا" فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيَأْتِي الْخَيْرُ بِالشَّرِّ؟ فَصَمَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: "كَيْفَ قُلْتَ؟ " قَالَ: قُلْتُ: وَهَلْ يَأْتِي الْخَيْرُ بِالشَّرِّ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ الْخَيْرَ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ، أَوَ خَيْرٌ هُوَ؟ إِنَّ كُلَّ مَا يُنْبِتُ الرَّبِيعُ يَقْتُلُ حَبَطًا أَوْ يُلِمُّ، إِلَّا آكِلَةَ الْخَضِرِ، أَكَلَتْ حَتَّى إِذَا امْتَلَأَتْ خَاصِرَتَاهَا اسْتَقْبَلَتْ الشَّمْسَ، فَثَلَطَتْ وَبَالَتْ، ثُمَّ اجْتَرَّتْ، فَعَادَتْ فَأَكَلَتْ، فَمَنْ يَأْخُذْ مَالًا بِحَقِّهِ يُبَارَكْ لَهُ، وَمَنْ يَأْخُذْ مَالًا بِغَيْرِ حَقِّهِ، فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ".

قوله : "إِلَّا مَا يُخْرِجُ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا" النبي ﷺ لم يقل هذا عبثا والله يقول: ﴿ **وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ** ﴾ [١] فالدخول في زهرة الحياة الدنيا فيه فتنة.

٣٩٩٦ - حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ سَوَّادٍ الْمِصْرِيُّ، أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ، أَخبرنَا عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ، أَنَّ بَكْرَ بْنَ سَوَادَةَ حَدَّثَهُ أَنَّ يَزِيدَ بْنَ رَبَاحٍ حَدَّثَهُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "إِذَا فُتِحَتْ عَلَيْكُمْ خَزَائِنُ فَارِسَ وَالرُّومِ، أَيُّ قَوْمٍ أَنْتُمْ؟ " قَالَ: عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: نَقُولُ كَمَا أَمَرَنَا اللَّهُ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "أَوَغَيْرَ ذَلِكَ، تَتَنَافَسُونَ ثُمَّ تَتَحَاسَدُونَ، ثُمَّ تَتَدَابَرُونَ ثُمَّ تَتَبَاغَضُونَ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ. ثُمَّ تَنْطَلِقُونَ فِي مَسَاكِينِ الْمُهَاجِرِينَ، فَتَجْعَلُونَ بَعْضَهُمْ عَلَى رِقَابِ بَعْضٍ".

قال بعض السلف : "من سلم من فتنة البدعة وفتنة الدنيا فقد سلم"

(١) سورة طه آية ١٣١

٣٩٩٧ - حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى الْمِصْرِيُّ، أَخْبَرَنِي ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، أَنَّ الْمِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ أَخْبَرَهُ عَنْ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ وَهُوَ حَلِيفُ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ، وَكَانَ شَهِدَ بَدْرًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ إِلَى الْبَحْرَيْنِ، يَأْتِي بِجِزْيَتِهَا، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ هُوَ صَالَحَ أَهْلَ الْبَحْرَيْنِ، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ الْعَلَاءَ بْنَ الْحَضْرَمِيِّ، فَقَدِمَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِمَالٍ مِنْ الْبَحْرَيْنِ، فَسَمِعَتْ الْأَنْصَارُ بِقُدُومِ أَبِي عُبَيْدَةَ، فَوَافَوْا صَلَاةَ الْفَجْرِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ انْصَرَفَ، فَتَعَرَّضُوا لَهُ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ رَآهُمْ، ثُمَّ قَالَ: "أَظُنُّكُمْ سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدِمَ بِشَيْءٍ مِنْ الْبَحْرَيْنِ؟ " قَالُوا: أَجَلْ، يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: "أَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ، كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، فَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ".

هذا الحديث فيه فائدة وتنبيه إلى بعض الدعاة الذين عندهم شيء من العجلة وحث الناس على التنافس في الدنيا ، فإن هذا خلاف ما دعت إليه الشريعة، والنبي ﷺ نهى عن ذلك فقال : " مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ " وإنما يخشى " أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ، كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، فَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ "

إذاً الواجب عدم حث الناس على التنافس على الدنيا لأن بهذا يُصرفون عن الدين، فكيف إذا كان الكلام على ولي أمرهم؟ فهذه أشد وأشد . هذا من جهة .

ومن جهة أخرى لا يجوز للعبد أن يعلق الرزق بأحد ، لأن الرزق يأتي من عند الله ، فإذا نقص الرزق فعلى الإنسان أن يعود إلى ربه ويستغفر من ذنوبه ، لأن الرزق لا ينقص إلا بذنب ولهذا جاء في الحديث "ليحرم الرزق بالذنب يصيبه" وقد قال تعالى: ﴿ فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ ﴾ [1] ولم يقل: ابتغوا الرزق عند الله إشارة إلى اختصاص الله سبحانه بالرزق ، فالرزق بيد الله هو الذي يوسع ويضيق.

ولما قيل للنبي ﷺ "سعر لنا " قال إن الله هو المسعر، فالأمور بيد الله.

فلا من النظر إلى الأمور نظرة عامة وشاملة .

---

(١) سورة العنكبوت ١٧

ومن جهة ثالثة المرء لا يعلم أين الخيرة ، هل هي في أن يبسط له الرزق أو في أن يضيق عليه .

فالنبي ﷺ وهو خير الخلق كان يربط على بطنه الحجر من شدة الجوع ويخرج من بيته ولم يكن هذا شرا له .

وبنو إسرائيل لما كانوا تحت فرعون يسومهم سوء العذاب يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم كانوا صابرين وقالوا لموسى : ﴿ **قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَا** ﴾ [1] " قال موسى: ﴿ **قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ** ﴾ فذهبوا حتى تبعهم فرعون ومضوا وغرق فرعون ثم مروا على أناس يعبدون الأصنام قال تعالى: ﴿ **وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ** ﴾ [2] ثم ظلل الله عليهم الغمام وأنزل عليهم المن والسلوى وفجر لهم الأحجار أنهارا ثم ذهب موسى إلى ميقات ربه فأتاهم السامريُ بعجل له خوار فعبدوه من دون الله ولم يقف الأمر عند هذا.

فقد طلبوا من موسى أن يسمعوا كلام الله فأخذ طائفة منهم فسمعوا كلام الله ثم تعنتوا وطلبوا أن يروا الله فأخذتهم الصاعقة ثم بعثهم الله ، ولما أُمِر موسى بالجهاد قالوا له ﴿ **فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ** ﴾ [3] فكانت حالهم مع فرعون خير من حالهم مع موسى حينما أنعم الله عليهم بالمن والسلوى وظلل عليهم الغمام.

ولهذا لا يعلم العبد أين تكون الخيرة .

وحينئذ لا يَلُم الإنسان غيره في رزق، فالرزق عند الله فإن شاء وسع للعباد وإن شاء ضيق وقدر.

وبالذنوب تضيق الأرزاق وهي السبب في زوال النعمة وبسببها أهبط آدم من الجنة إلى الدنيا.

فالذنوب هي سبب الحرمان من النعم سواء كانت نعم الدين أونعم الدنيا.

وحينئذ التنافس على الدنيا لا يكون علاجا شرعيا ، والعاقل يحمد الله على ما أنعم به عليه.

وهذه عقيدة مهمة .

---

(١) سورة الأعراف آية ١٢٩

(٢) سورة الأعراف آية ١٣٨

(٣) سورة المائدة آية ٢٤

١٩ – بَابُ فِتْنَةِ النِّسَاءِ

٣٩٩٨ – حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ هِلَالٍ الصَّوَّافُ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ سُلَيْمَانَ التَّيْمِيِّ (ح) وَحَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ، عَنْ سُلَيْمَانَ التَّيْمِيِّ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَا أَدَعُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنْ النِّسَاءِ".

في قوله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ ﴾[١] بدأ الله تعالى بالنساء ، ولا ريب أن فتنة النساء الآن عظمت بسبب انتشار الأجهزة، فمن سلم من الوقوع في الفاحشة ربما لا يسلم من النظر إلى ما حرم الله ولهذا كانت فتنة النساء فتنة شديدة ، بل إن شيخ الإسلام قال: فليحذر العاقل من طاعة النساء وذكر حديث "لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة" .

والنبي ﷺ ذكر أن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء، وقال أيضا: "رأيت النار فإذا أكثر أهلها النساء"

وقال: "إذا خرجت المرأة تقبل في صورة شيطان وتدبر في صورة شيطان"

ولهذا قال: " مَا أَدَعُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنْ النِّسَاءِ"

٣٩٩٩ – حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَعَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ خَارِجَةَ بْنِ مُصْعَبٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَا مِنْ صَبَاحٍ إِلَّا وَمَلَكَانِ يُنَادِيَانِ: وَيْلٌ لِلرِّجَالِ مِنْ النِّسَاءِ، وَوَيْلٌ لِلنِّسَاءِ مِنْ الرِّجَالِ".

فيه ضعف .

٤٠٠٠ – حَدَّثَنَا عِمْرَانُ بْنُ مُوسَى اللَّيْثِيُّ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ زَيْدِ بْنِ جُدْعَانَ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَامَ خَطِيبًا، فَكَانَ فِيمَا قَالَ: "إِنَّ الدُّنْيَا خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَنَاظِرٌ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، أَلَا فَاتَّقُوا الدُّنْيَا، وَاتَّقُوا النِّسَاءَ".

قوله : " فَاتَّقُوا الدُّنْيَا، وَاتَّقُوا النِّسَاءَ "لاحظ أنه أجمل في الدنيا ثم خصص النساء .

---

(١) سورة آل عمران آية ١٤

٤٠٠١ - حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَعَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ ابْنُ مُوسَى، عَنْ مُوسَى بْنِ عُبَيْدَةَ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ مُدْرِكٍ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ، إِذْ دَخَلَتْ امْرَأَةٌ مِنْ مُزَيْنَةَ تَرْفُلُ فِي زِينَةٍ لَهَا فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : "يَا أَيُّهَا النَّاسُ، انْهَوْا نِسَاءَكُمْ عَنْ لُبْسِ الزِّينَةِ وَالتَّبَخْتُرِ فِي الْمَسْجِدِ، فَإِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمْ يُلْعَنُوا حَتَّى لَبِسَ نِسَاؤُهُمْ الزِّينَةَ وَتَبَخْتَرْنَ فِي الْمَسَاجِدِ".

في إسناده ضعف ولكن معناه صحيح .

٤٠٠٢ - حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ مَوْلَى أَبِي رُهْمٍ، اسْمُهُ عُبَيْدٌ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ لَقِيَ امْرَأَةً مُتَطَيِّبَةً تُرِيدُ الْمَسْجِدَ، فَقَالَ: يَا أَمَةَ الْجَبَّارِ، أَيْنَ تُرِيدِينَ؟ قَالَتْ: الْمَسْجِدَ، قَالَ: وَلَهُ تَطَيَّبْتِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ. قَالَ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "أَيُّمَا امْرَأَةٍ تَطَيَّبَتْ، ثُمَّ خَرَجَتْ إِلَى الْمَسْجِدِ، لَمْ تُقْبَلْ لَهَا صَلَاةٌ حَتَّى تَغْتَسِلَ".

فيه التنبيه إلى أمر قد انتشر وظهر خصوصا في المدن الكبرى وهو تبرج النساء، وتبرج النساء ليس علامة على الخير ، والواجب أن يقوم كل راع على أهله قال النبي ﷺ: "ألا كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته" وسوف يُسأل كل إنسانا عن هذا .

والواجب على المرأة إذا خرجت خصوصا إلى المسجد ألا تكون متبرجة ولا متطيبة ولا متزينة ولهذا قال تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [1] فقد أمرها أن لا تتبرج تبرج الجاهلية هذا وهي في منزلها فكيف إذا خرجت من منزلها ؟ لا ريب أن هذا فيه فتنة عظيمة .

(١) سورة الأحزاب آية ٣٣

٤٠٠٣ – حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رُمْحٍ، أَخبرنَا اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ ابْنِ الْهَادِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ، تَصَدَّقْنَ وَأَكْثِرْنَ مِنْ الِاسْتِغْفَارِ، فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ"، فَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ جَزْلَةٌ: وَمَا لَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ؟ قَالَ: "تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَغْلَبَ لِذِي لُبٍّ مِنْكُنَّ" قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا نُقْصَانُ الْعَقْلِ وَالدِّينِ؟ قَالَ: "أَمَّا نُقْصَانُ الْعَقْلِ فَشَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ تَعْدِلُ شَهَادَةَ رَجُلٍ، فَهَذَا مِنْ نُقْصَانِ الْعَقْلِ. وَتَمْكُثُ اللَّيَالِيَ مَا تُصَلِّي، وَتُفْطِرُ فِي رَمَضَانَ، فَهَذَا نُقْصَانُ الدِّينِ".

نختم بهذا لكن انظر إلى فقه المؤلف رحمه الله إذ ذكر بعد هذا الباب باب الأمر بلمعروف والنهي عن المنكر ،يشير بذلك إلى أن أعظم صمام للمجتمع هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وفي قول الله تعالى:﴿ **وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً** ﴾[١] فائدة وهي :

أن هذا يكون إذا كان المجتمع طائفتين ، طائفة تقع في المنكر وطائفة لا تنكر .

أما إذا كان هناك طوائف ثلاثة طائفة تنكر وطائفة واقعة في المنكر وطائفة ساكتة ، فإذا وقع العذاب فإنه يقع على الذين وقعوا في المنكر ويسلم الذين أنكروا ولهذا قال تعالى في بني إسرائيل: ﴿ **فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ** ﴾[٢] ولهذا قال عكرمة : دخلت على بن عباس فرأيته يبكي فقلت:ما يبكيك؟ قال: إن الله ذكر طائفتين الطائفة االتي وقعت في المنكر والتي أنكرت ، فذكر الله أن هذه نجت والثانية هلكت والثالثة لا ندري ونحن نرى منكرات ولا ننكرها، فقال عكرمة: طالما أن الله سكت عنها فقد نجت". ثم وجدت في الصحيح قوله: " ستكون أمراء فتعرفون وتنكرون فمن عرف فقد برئ ومن أنكر سلم ، ولكن من رضي وتابع....." فهذا يصدق على الثلاث.

---

(١) سورة الأنفال آية ٢٥

(٢) سورة الأعراف آية ١٦٥

جامع الرحمانيّة

للتواصل

0530544944

jalrahmanyah

alrahmanyah